

المكانة الدولية لمنطقتي آسيا الوسطى والقوقاز

«دراسة جيوسياسية»

أ.د صبري فارس الهيتي

الطبعة الأولى
2024 م

سلسلة الدراسات الجغرافية (7)

المكانة الدولية لمنطقتي آسيا الوسطى والقوقاز

«دراسة جيوسياسية»

أ. د صبري فارس الهيتي

أستاذ الجيبولتيكس

الامين العام لإتحاد الجغرافيين العرب

الطبعة الأولى

2024م

اسم الكتاب

المكانة الدولية لمنطقتي آسيا الوسطى والقوقاز

اسم الكاتب

أ. د صبري فارس الهيتي

الإيداع القانوني

......./2024م



الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – الســودان

جوال: 121566207 - 00249122094856

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2024م

المحتويات

المقدمة

تشكل منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز بابا مفتوحا نحو منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط عموما؛ والى شرقي وجنوبي اسيا ولذا فإن من يسيطر عليها يستطيع أن يطل على الشرق.

آسيا الوسطى: «ترانساوكسانيا» هو الاسم الذي كانت تعرف به حتى بداية القرن العشرين، وهي ترجمة لاتينية للاسم الذي أطلقه العرب عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول وهو «بلاد ما وراء النهر» وتضم كلا من: طاجيكستان ـ تركمانستان ـ قرغيزستان ـ أوزبكستان ـ كازاخستان.

ولآسيا الوسطى مكانة رفيعة في التاريخ؛ ومازال يشهد لها على تلك المكانة أسماء المدن التاريخية العظيمة، مثل: سمرقند – بخارى ـ فرغانة ـ طشقند ـ خوارزم ـ مرو ـ ترمذ ،وهي أسماء تدل على أعلام لهم أيضا مكانتهم في التاريخ الانساني عامة وفي التاريخ الاسلامي بشكل خاص، مثل: الخوارزمي، والفارابي، والبخاري، والترمذي، وابن سينا، والجرجاني، والسجستاني، والبيروني.

اما القوقاز أو «القفقاس» : فهي منطقة جبلية عظيمة الامتداد، كثيرة الارتفاع، صعبة الاجتياز، قليلة الممرات، تمتد على مسافة 1200 كم لتصل بين البحرين: الأسود والخزر (قزوين) وهي الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا.

والقوقاز تتألف من منطقتين: منطقة تضم ثلاث دول مستقلة استقلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وهي جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، ومنطقة أخرى تسمى بالقوقاز الروسي، وهي تتألف من كراسنودار كراي، ستافروبول كراي، أديغيا، قراتشاي–تشيركيسيا، قبردينو–بلقاريا، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا الشمالية وداغستان. كما يضم القوقاز ثلاث دول أعلنت استقلالها وغير معترف بها دوليًا وهي: أبخازيا، أوسيتيا الجنوبية وقرة باغ، و من هذه المناطق تلك التي تقطنها الأغلبية المسلمة، وهي دولة أذربيجان ومنطقة أنغوشيا والشيشان وداغستان.

وبسبب هذه الأهمية القصوى كانت هذه الدول محل تنافس بين اللاعبين الدوليين ودول المنطقة؛ فأميركا تسعى لبسط نفوذها، وروسيا تحاول أن تبقيها تدور في فلكها كما كانت في الحقب الماضية، وتسعى الصين أن تدخل بشركاتها العملاقة وكذلك الهند وإيران وتركيا وغيرها من الدول. هناك تنافس بين هذه الدول وفي نفس الوقت

يبدو أن اللاعبين الدوليين متفقون على أن تبقى هذه الدول بعيدة عن تأثير الأحزاب الإسلامية؛ لأنها تظن أن سيطرة الأحزاب الإسلامية السياسية على المنطقة ستسبب خطرًا كبيرًا لأمن العالم! وخاصة إذا وقعت بيدها تلك الإمكانيات الضخمة التي تملكها هذه الدول.

تضمن كتابنا هذا ستة فصول:

خصصص **الفصل الأول** منها للمظاهر الطبيعية للمنطقتين.

وعالج **الفصل الثاني**: دخول الديانة الاسلامية الى اسيا الوسطى والقوقاز.

اما **الفصل الثالث**: فتم فيه دراسة التكوين الاثنوغرافي للسكان.

وبحث في **الفصل الرابع** الاهمية الجيوستراتيجية والاقتصادية للمنطقتين.

وكان **الفصل الخامس**، مخصصا لدراسة الصراع الدولي عليها.

وتم في **الفصل السادس** دراسة القواعد العسكرية الاجنبية في المنطقتين. نامل ان نكون قد سلطنا الضوء على هذه المنطقة الاستراتيجية، ومن الله التوفيق.

المؤلف: عمان، يناير 2024م

الفصل الاول

الظواهر الطبيعية في منطقتي الدراسة

الفصل الاول

الظواهرالطبيعية في منطقتي الدراسة

الموقع الجغرافي:

تكمن أهمية منطقة آسيا الوسطى باعتبارها تمثل المتغير الجيو - سياسي الذي يمثل مفتاح السيطرة على العالم، فالتمركز في آسيا الوسطى يتيح الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال. والعمق الحيوي الصيني باتجاه الجنوب الشرقي، علاوة على العمق الحيوي لشبه القارة الهندية باتجاه الجنوب والعمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي. والعمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغرب، علاوة على أن السيطرة على موارد آسيا الوسطى تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز والمعادن والموارد الزراعية إلى روسيا والصين وشبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوربي.

والسيطرة على ممرات آسيا الوسطى تتيح السيطرة على الممرات البرية والجوية التي تربط بين شبه القارة الهندية وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات التي تتيح ضبط التفاعلات والعلاقات البينية التي تربط بين الأقاليم المحيطة بمنطقة آسيا الوسطى[1].

تعد منطقة آسيا الوسطى والقوقاز من المناطق المهمة في الوقت الحاضر، وهي منطقة بقيت لردح من الزمن تحت سيطرة روسيا القيصرية ثم عاشت فترة ما يقرب من خمس وسبعين سنة تحت سيطرة حكم الاتحاد ألسوفيتي وعاشت رغم أنها ذات أغلبية إسلامية منقطعة عن العالم الإسلامي طوال تلك الفترة.

اذ تشكل منطقتي آسيا الوسطى والقوقاز بابا مفتوحا نحو منطقة الخليج العربي والشرق عموما؛ ولذا فإن من يسيطر عليها يستطيع أن يطل على الشرق بقدرة واضحة. لكون هذه المنطقة تمتاز بأهمية جيوستراتيجية من خلال موقعها الجغرافي ومواردها المهمة. فهي تشاطىء بحر قزوين الغني بالموارد من جهة، وتشكل من جهة أخرى عقدة طرق برية وتمديدات انابيب الغاز والنفط من الشرق الأوسط وقزوين باتجاه الصين او منها باتجاه البحر الاسود وتركيا والبحر المتوسط، ومنها باتجاه الخليج العربي عبر إيران - وأفغانستان وباكستان باتجاه المحيط الهندي.

آسيا الوسطى: «ترانساوكسانيا» هو الاسم الذي كانت تعرف به آسيا الوسطى حتى بداية القرن العشرين، وهي ترجمة لاتينية للاسم الذي أطلقه العرب عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول وهو «بلاد ما وراء النهر» وتضم كلا من: طاجيكستان ـ تركمانستان ـ قرغيزستان ـ أوزبكستان ـ كازاخستان. انظر الخريطة رقم (1)



خارطة (1) دول منطقة اسيا الوسطى

ولآسيا الوسطى مكانة رفيعة في التاريخ؛ ومازال يشهد لها على تلك المكانة أسماء المدن التاريخية العظيمة، مثل: سمرقند – بخارى ـ فرغانة ـ طشقند ـ خوارزم ـ مرو ـ ترمذ ،وهي أسماء تدل على أعلام لهم مكانتهم في التاريخ الانساني عامة وفي التاريخ الاسلامي بشكل خاص، مثل: الخوارزمي، والفارابي، والبخاري، والترمذي، وابن سينا، والجرجاني، والسجستاني، والبيروني. (2)

اما القوقاز أو «القفقاس»: فهي منطقة جبلية عظيمة الامتداد، كثيرة الارتفاع، صعبة الاجتياز، قليلة الممرات، تمتد على مسافة 1200 كم لتصل بين البحرين: الأسود والخزر (قزوين). وتضم هذه المنطقة منطقتين: منطقة تضم ثلاث دول مستقلة استقلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وهي جورجيا وأرمينيا وأذربيجان، ومنطقة أخرى تسمى بالقوقاز الروسي، وهي تتألف من كراسنودار كراي، ستافروبول كراي، أديغيا، قراتشاي–تشيركيسيا، قبردينو–بلقاريا، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا الشمالية وداغستان. كما يضم القوقاز ثلاث دول أعلنت استقلالها وغير معترف بها دوليًا وهي: أبخازيا، أوسيتيا الجنوبية وقرة باغ. (3)

انظر الخارطة – رقم (2).



خارطة (2) الخريطة السياسية لمنطقة القوقاز.

الظواهر الطبيعية:

1- كازاخستان:

يحد كازاخستان من الشمال و الغرب روسيا، ومن الجنوب كل من الصين وقرغيزيستان وأوزبكستان وتركمانستان، ومن الشرق الصين. يبلغ طول حدودها البرية مع الدول المجاورة 12.012 ألف كلم. هي أكبر دولة مسلمة في العالم إذ تبلغ مساحتها 2.717.300 مليون كلم٢ منها 47.500 ألف كلم٢ من المياه على بحر قزوين .



خارطة (3) موقع كازاخستان

التضاريس:

نحو 21% من أراضيها محاطة بأجزاء من سلسلة جبال ألتاي وتيان شان بارتفاعات تصل إلى نحو 6995 مترا. كما أن أكثر من ثلاثة أرباع الدولة أراض صحراوية أو شبه صحراوية بمرتفعات أقل من 500 متر. وعلى امتداد بحر قزوين تكون الأرض تحت مستوى سطح البحر.

تتنوّع التضاريس فيها بين:

- **البحيرات:** كبحيرة الآرال، وبحيرة تينغيز، وبحيرة الأكول، وبحيرة بالكاش، وبحيرة زايسان.
- **الأنهار:** كنهر الأورال، ونهر الإمبا.
- **السلاسل الجبليّة:** كجبل خان تنغري الذي يعتبر من أعلى قممها الجبلية؛ حيث يرتفع عن مستوى سطح البحر 7010م.

- **السهول، والسواحل الساحلية.**
- **الصحاري، والمناطق شبه الصحراوية.**

يجري في كزاخستان سبعة أنهار يبلغ مجموع أطوالها حوالي 1000 كلم، أهمها: تشو وإمبا وإلي وإيرتيش وإيشيم (4).

2- اوزبكستان :

أوزبكستان أرض حبيسة. مساحتها 447400كم2ولها شاطئ على بحر أورال (بحر مغلق) بطول 420 كلم يمتد طول الحدود البرية مع الدول المجاورة 6221 كلم على النحو التالي:

تحدها كازاخستان من الشمال والغرب بحدود طولها 2203 كلم وتحدها تركمانستان بحدود طولها 1621 كم من الجنوب، ومع قرغيزيا بحدود طولها 1099 كم. وطاجاكستان من الشرق بحدود طولها 1161 كم وافغانستان بحدود طولها 137 كم من الجنوب.

نحو 80% من مساحة أوزبكستان صحراء، ويوجد بها بعض المرتفعات الجبلية خاصة في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي والشمال الشرقي ويصل ارتفاع بعضها إلى 4500 متر.

ويعد وادي فيرغانا الواقع في الشمال الشرقي مركز التكدس السكاني والزراعة والصناعة، ويحيط بهذا الوادي سلسلة من الجبال يقطعها نهر سير داريا.

تتكون تضاريسها في القسم الشمالي من سهول طوران. وتحيط هذه السهول ببحر ارال في الجنوب والجنوب الغربي لتدخل إقليم قراكلباك وسط أوزبكستان سهول قيزيل أي الرمال الحمراء. وهي سهول فسيحة تغطيها الكثبان الرملية تظهر بها بعض التلال الصخرية. والقسم الجنوبي من أوزبكستان جبلي، يتكون من سفوح جبال تيان شان وبامير وتنساب إلى القسم السهلي روافد نهرية تتجه إلى نهري سيحون وجيحون. وعلى هذه الروافد توجد المدن الهامة مثل طشقند وبخارى وسمرقند. (5)

هناك عدة أنهار صغيرة أبرزها نهر أمو داريا وسير داريا، اللذان ينتهيان إلى بحر ارال قادميين من جبال تيان شان وبامير.ويوجد نزاع مع تركمانستان حول تقاسم مياه نهر أمو داريا.



خارطة (4) موقع اوزبكستان

3- تركمانستان :

تقع دولة تركمانستان في وسط قارة أسيا، حيث يحدها من الجنوب دولة أفغانستان، بطول 744 كيلو متر، وتحدها إيران من الجنوب والجنوب الغربي، بطول حوالي 922 كيلو متر، ويحدها من الشرق والشمال دولة اوزبكستان،، ويحدها من الشمال والشمال الغربي دولة كازاخستان، بطول 379 كيلو متر. تبلغ مساحتهاحوالي 488،100 كيلو متر مربع.



خارطة (5) موقع تركمانستان

معظم الأرض صحراء منبسطة، وتتمدد صحراء كارا كوم في المنطقة الوسطى، كما تمتد سلسلة جبال كوبيتداج بطول الحدود الجنوبية مع إيران. ويبلغ ارتفاع أعلى قمة 3.139 مترا، وتعتبر منطقة جبال كوبيتداج من المناطق المنكوبة بالزلازل تتكون الأراضي التركمانية من هضبة تبدأ من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث تنحدر إلى صحراء قرة قوم (أي الرمال السوداء) وهي سهل رملي فسيح تغطية الكثبان الرملية. وتمتد في القسم الشمالي من السفوح الغربية لجبال (كوجي داغ) حيث حدودها مع إيران. وتمثل السلاسل الجبلية الوحيدة فيها .

ولوجود عدد من الأنهار بمنطقة تركمانيا أثره في تخفيف حدة الجفاف.فيجري بها قسم من نهر جيحون (أموداريا) وتصلها بعض الأنهار المنحدرة في أفغانستان وإيران مثل نهر هري ونهر مرغاب وتقع علية مدينة مرو ذات الشهرة في التاريخ الإسلامي.

كما توجد بقعة باب جهنم وهي تسمية تطلق على حفرة تستعر بالنيران بدون توقف منذ 46 عاماً في قرية ديرويز التي تبعد 250 كم من العاصمة التركمنستانية عشق اباد (6)

4- قيرغستان :

هي ثاني أصغر دول آسيا الوسطى الخمس. وتبلغ مساحتها 198.500 ألف كلم2 تقع جمهورية قيرغيزيا في الجزء الشرقي من اسيا الوسطى.

تشترك حدودها الشرقية مع إقليم تركستان الشرقية التي هي جزء من الصين. وتحد ها من الشمال جمهورية كازاخستان، ومن الغرب جمهورية اوزبكستان، ومن الجنوب الغربي جمهورية طاجكستان.



خارطة (6) موقع قرغيزستان

تتكون اراضي قرغيزيا من مناطق جبلية في معظمها، منها جبال تيان شان في شمالها. وتضم في الجنوب جبال ألاس (ألايسكي) والتي ترتفع إلى أكثر من سبعة آلاف متر (7134) ،والقسم الأوسط من قيرغيزيا سهل ينفتح في الغرب على سهول وسط آسيا. ويضم هذا القسم مجموعة من الوديان النهرية. مثل وادي نارين ووادي نار. وتكون هذه الوديان مجموعة من البحيرات. ويشكل هذا النظام وادي فرغانة صاحب الشهرة التاريخية في الفتوح الإسلامية لهذه البلاد. والمجموعة المائية تلك جزء من الروافد العليا لنهر سيحون (سرداريا). وهناك بحيرة كبيرة في الشمال اسمها " ايصيق قول"(7)

4- طاجيكستان:

تبلغ مساحة طاجيكستان 143.100 كم مربع، وتبلغ طولها من أقصى الشرق إلى الغرب 700 كم، ومن أقصى الشمال إلى الجنوب 350 كم. يبلغ طول حدودها الشرقية مع الصين 414 كم، و1.206 كلم مع افغانستا ن إلى الجنوب كما تحدها الباكستان من الجنوب (8). أما الدول المجاورة الأخرى فهي اوزبكستان من (الغرب) وقيرغيزستان (من الشمال).



خارطة (7) موقع طاجيكستان

التضاريس:

تشغل المناطق الجبلية نحو 36 % من تضاريس طاجيكستان، ويبلغ ارتفاع الكثير منها أكثر من 3000 متر.وبالجبال الشرقية بحيرات ومناطق جليدية. وتعتبر منطقة فدشنكو التي تغطي مساحة 700 كلم2 أكبر منطقة جليدية غير قطبية في العالم.

يوجد في طاجيكستان شبكة واسعة من الأنهار، أكبرها نهر سير داريا وأمو داريا وفخش وكوفاميهون. ويحمل نهر أمو داريا ماء أكثر من أي نهر آخر في آسيا الوسطى. أما نهر فخش فهو مصدر هام للطاقة المائية. (9)

منطقة القوقاز:

جبال القوقاز

تقسم سلسلة جبال القوقاز إلى قسمين، شمال القوقاز (بالإنجليزية: Ciscaucasia) في اوربا وجنوب القوقاز (بالإنجليزية: Transcaucasia) في آسيا، وتقع سلسلة جبال القوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين، على طول الحدود بين الاتحاد الروسي وجورجيا وأذربيجان، ويُعتبر جبل إلبروس أعلى قمة في هذه السلسلة. (10)

تُعدّ سلسلة جبال القوقاز حاجزاً عظيماً يقع بين البحر الأسود وبحر قزوين في المنطقة التي تلتقي فيها أوروبا وآسيا، وتتجه الجبال من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتنقسم سلسلة جبال القوقاز الكبرى إلى ثلاثة أجزاءٍ وهي: (11)

- **غرب القوقاز**، من البحر الأسود إلى جبل إلبروس.
- **وسط القوقاز**، من جبل إلبروس إلى جبل كازبيك.
- **القوقاز الشرقية**، من جبل كازبيك إلى بحر قزوين.

يُعتبر جبل بازاردوزو Bazardüzü أعلى قمةً في سلسلة جبال القوقاز الكبرى، والذي يقع في أذربيجان على ارتفاع 4.438م فوق مستوى سطح البحر، ويُعدّ جبل شاهداغ Shahdagh ثاني أعلى قمة في سلسلة جبال القوقاز الكبرى على ارتفاع 4.243م فوق مستوى سطح البحر، حيث يقع في أذربيجان في مقاطعة كوسار Qusar، بالقرب من الحدود مع روسيا.



خارطة (8) صورة فضائية لجبال القوقاز

دول منطقة القوقاز:

أذربيجان:

التضاريس :

تبلغ مساحة اذربيجان 86.600 كيلومتر مربّع في الجزء الجنوبيّ من القوقاز، وتمتدّ بدءاً من الغرب الآسيويّ وصولاً إلى شرق أوروبا، يصل طول الحدود البريّة لها أكثر من 2.648 كيلومتراً، أمّا سواحلها فيصل طولها إلى أكثر من ثمانمئة كيلومتر. تنقسم اذربيجان إلى ثلاث مناطق جغرافية، وهي:

بحر قزوين والذي تمتد حدوده السّاحلية في الجزء الشرقيّ من البلاد، بينما تمتد سلسلة جبال القوقاز الكبرى في شمال البلاد، ومن مناطق سهلية تقع في أواسط البلاد. تشترك أذربيجان بحدودٍ مائيّة على بحر قزوين من الجهة الشرقيّة، وتحدّها من الجهة الشماليّة دولة روسيا، (12) بَينما تشترك في الحدود مع جورجيا من الجهة الشمالية الغربيّة، وتحدّها أرمينيا من الغرب، أمّا حدودها من الجَنوب فهي مع إيران.



خارطة (9) خارطة طبيعية لاذربيجان

جورجيا:

تقع جورجيا في منطقة جنوب القوقاز من أوراسيا، أي غرب آسيا وشرق أوروبا.

تشكل روسيا حدودها الشمالية حيث تمتد مع قمة مجموعة جبال القوقاز الكبرى والتي تعرف عموماً على أنها الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا. حسب راي فيليب يوهان فون شترالينبيرغ عام 1730، والذي استخدم من قبل القياصرة الروس والذي يعد أول من حدّد جبال الاورال على أنها الحدود الشرقية للقارة، فإن الحدود القارية رسمت من المنخفض كوما-مانيش إلى بحر قزوين، واضعاً بذلك جورجيا (وكامل منطقة القوقاز) ضمن آسيا.

تفصل جبال القوقاز الكبرى بين جورجيا والجمهوريات الروسية شمال القوقاز. التي فيها الطرق الرئيسية التي تمرعبرها إلى الاراضي الروسية من خلال نفق روكي بين أوسيتيا الجنوبية والشمالية والمضيق الداري (في منطقة خيفي الجورجية). شكل نفق روكي ممراً حيوياً بالنسبة للجيش الروسي في حرب أوسيتيا الجنوبية 2008. (13)

التضاريس:

اعلى جبل في جورجيا هو جبل شخارا بارتفاع 5201 متر، يليه جبل جانغا (جانغي-تاو) عند 5051 متر فوق مستوى سطح البحر. تضم القمم البارزة الأخرى كازبيجي (كازبيك) بـ 5074 متر، تيتنولدي (4974 م)، شوتا رستافلي (4960 م، جبل اوشبا (4710 م) وايلاما (4525 م). المنطقة بين كازبيجي وشخارا (مسافة نحو 200 كيلومتر)

يمكن وصف المنطقة عموماً باعتبارها مكونة من عدد من السلاسل الجبلية المتشابكة (في معظمها من أصل بركاني)، ومن الهضاب التي لا يتجاوز ارتفاعها 3400 متر. تتضمن السمات البارزة للمنطقة هضبة جافاخيتي البركانية، والبحيرات بما في ذلك تاباتسكوري وبارافاني، وكذلك المياه المعدنية والينابيع الساخنة. تعد المرتفعات البركانية جنوب جورجيا منطقة جيولوجية يافعة وغير مستقرة.

يتراوح المشهد في القسم الغربي بين غابات منخفضة وأراضي الأهوار والمستنقعات والغابات المطيرة المعتدلة إلى ثلوج دائمة وأنهار جليدية. في حين أن الجزء الشرقي من البلاد يحتوي على مساحة صغيرة من السهول شبه القاحلة المميزة لآسيا الوسطى. تغطي الغابات حوالي 40٪ من أراضي جورجيا بينما تغطي منطقة الألب/دون الألب ما يقرب من 10٪ من الأراضي. (14)



خارطة (10) خارطة تضاريس جورجيا

ارمينيا :

تقع جمهورية أرمينيا، التي تبلغ مساحتها 29.743 كيلومتر مربع، في منطقة القوقاز في أوراسيا، وتحديداً عند نقطة تلاقي الغرب الأوروبي مع الشرق الآسيوي، حيث تقع إلى الجنوب من شرق تركيا وإلى الجنوب من جورجيا وإلى الغرب من جمهورية ناغورتي كاراباخ وأذربيجان، وإلى الشمال من إيران.

ويبلغ عدد السكان فيها حوالي الثلاثة ملايين نسمة، غير أنّ عدد الأرمن المشتّتين في العالم يقدر بنحو ثمانية ملايين نسمة . فلقد تفرّق الأرمن في دول العالم كلها مثل روسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وسوريا، ولبنان، وفلسطين المحتلة، وقبرص، والأرجنتين، وأستراليا، وأوكرانيا، وكندا، والعراق، وجورجيا، وفرنسا بالإضافة إلى أنّ هناك نسبة من الأرمن يعيشون في تركيا، كما أنّ هناك وجود أرمني في كل من القدس في الحي الأرمني بالإضافة إلى وجود اقلية منهم في إيطاليا .

يعيش في أرمينيا أعراق مختلفة، إلا أنّ النسبة الأكبر والتي تزيد عن حوالي 97٪ من عدد السكّان هم من الأرمن، وهناك وجود قليل لعرقيات أخرى والتي منها على سبيل المثال الروس، واليزيديون، والآشوريين، والأوكرانيين، والجورجيين، والأكراد، والبيلاروس، واليونانيين، بالإضافة إلى وجود اقلية محدودة لجماعات أخرى غير التي سبَقَ ذكرها والتي منها الأوديين، والأوسيتيين، والفلاش، والموردفينيين،والتاتيين. كما أن هناك القليل من البولنديين، القوقاز، والألمان. (15)

التضاريس:

تقع في الشمال الشرقي من الهضبة الأرمينيةوالتي تعرف باسم أرمينيا التاريخية الأصلي لهم. يغلب عليها التضاريس الجبلية،حيث يعتبرها الارمن الموطن الاصلي لهم . أعلى جبل في المنطقة جبل ارارات وهو جزء من أرمينيا التاريخية يصل ارتفاعه الى 4900 م. يقع الجبل الآن في الأراضي التركية، ولكن يمكن رؤيته بوضوح من ارمينيا ويعتبره الأرمن (16) رمزا لهم ويضعونه في علمهم، اذ يعدونه الرمز الوطني الارمني لهم.



خارطة (11) موقع ارمينيا



خارطة (12) موقع ناغورني قرة باغ

القوقاز الروسي :

يتكون القوقاز الروسي من عدة وحدات واقاليم بعضها يتمتع بالحكم الذاتي، رغم عدم رضى سكانها بالنفوذ الروسي لكن روسيا متمسكة بها بالقوة لكونها مناطق تتمتع باهمية جيو ستراتيجية بالغة وهي :

1- أوسيتيا الجنوبية

تقع أوسيتيا الجنوبية وسط جورجيا من ناحية الشمال، وحدودها محاذية لجمهورية أوسيتيا الشمالية، غالبية الأوسيت في جمهورية الجنوب هم من المسيحيين. استولت روسيا على أوسيتيا كاملة عام 1878. قسمتها بعد الثورة البلشفية إلى كيانين، ألحق الشمالي بالاتحاد الروسي و الجنوبي بجورجيا، انظر الخرطة الاتية :



خارطة (13) شمال القوقاز توضح الجمهوريات الروسية



خارطة (14) القوقاز الروسي ومنها اوستسيا الجنوبية

تحول جورجيا دون توحد أوسيتيا الجنوبية والشمالية. وقد بدأ التوتر في العلاقة بين أوسيتيا الجنوبية وجوجيا مع إتجاه الأخيرة إلى الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي. ومع بداية التسعينيات أعلنت أوسيتيا الجنوبية نيتها إعلان المنطقة تابعه للنفوذ الروسي وهو ما اعترض عليه البرلمان الجورجي ، لتبدأ المواجهات بين الانفصاليين في أوسيتيا والشرطة الجورجية ما أسفر عن مقتل العشرات. (17)

وعرفت نهاية سنة 1991 توتراً شديداً في العلاقة بين الجانبين، حيث تعرض عدد من القرى في أوسيتيا الجنوبية إلى الإحراق والتدمير وسقوط عدد من القتلى، وبالمثل فقد رحلت عن اوستيا أعداد كبيرة من الجورجيون في إتجاه مناطق بعيدة.

وتوقفت أعمال العنف عام 1992 وتوصل الجانبان إلى اتفاق سلام بينهما لكنه يبقى هشاً. ومع تجدد المواجهات منذ سنة2004، وذلك بالرغم من قيام الرئيس الجورجي سنة 2005 بعرض رؤية بلاده لحل الأزمة مع أوسيتيا في المحافل الدولية. وقد أعلنت أوسيتيا نيتها إجراء استفتاء لتقرير المصير سنة 2006 وهو ما رفضته جورجيا بشدة، وإعتبرته روسيا من ناحية أخرى تعبيرا حراً لإرادة الاستقلال. وفي سعيها إلى دعم استقلالها عرفت اوستيا إتجاهاً إلى إقامة انتخابات رئاسية.

الشيشان:

هي جمهورية من الجمهوريات الموجودة في الجهة الجنوبيّة الغربيّة من روسيا، وعاصمتها مدينة جروزني، وتستخدِم الروبل الروسي كعملةٍ رسميّة، وحصلت على استقلالها الرسميّ في سنة 1991م عن روسيا بعد خوضها مجموعة من الحروب التي ظلّت مُستمرة حتّى عام 2009م.

تقع الشيشان ضمن الأراضي التابعة لجبال القوقاز، وتشترك بحدود سياسيّة وجغرافيّة مع مجموعة دول، فتوجد في حدودها الجنوبيّة كلّ من جورجيا وداغستان، وتحدّها من الشمال روسيا وداغستان، ومن الجهة الغربيّة تشترك بحدود مع أنغوشيا وأوسيتا الشماليّة. (18)



خارطة (15) موقع الشيشان

تقسَم المناطق الطبيعيّة الجغرافيّة في الشيشان إلى ثلاثة أقسام تمتدّ من شمالها إلى جنوبها، ويُعدّ جبل تيبولوسمتا أعلى القمم الجبليّة فيها، ويُعتبر نهر أرغون النّهر الرئيسيّ في الجمهوريّة.

وتُمثّل المناطق البريّة القسم الثاني من أقسام الشيشان الجغرافيّة، وتشمَل مجموعة من الأودية التابعة لكلّ من نهر سونزا ونهر تيريك، وتُشكّل المناطق البريّة امتداد أراضي الشيشان من الجهة الغربيّة إلى الجهة الشرقيّة، أمّا القسم الثالث فهو الذي يظهر على شكل أراضٍ سهليّة في الشمال. (19)

تتميّز الشيشان بتنوّع النباتات والتربة التي تُغطّي أراضيها والمنتشرة في سهوب نوغاي، كما تغطّيها كمية من كثبان الرمال والتي تُشكّل الطريق المُتّجه إلى الجهتين الجنوبيّة الغربيّة والجنوبيّة القريبة من نهر تيريك، وتنتشر في الشيشان أيضاً مجموعة من المنحدرات التابعة للجبال التي تُشكّل مجموعة من الغابات الصنوبريّة التي تحتوي على أشجار البلوط والزان، ومن ثمّ تظهر المروج التابعة لجبال الألب وصولاً إلى أراضي الصخور والمغطاة بالثلوج، كما تشهد الشيشان تنوّعاً في مناخها، ولكن يُعدّ المناخ القاري هو السائد بشكلٍ عام. (20)

وقد عَرف السُّكّان الإسلام خلال الحُكم العثمانيّ، كما تنتشر بين الأقليات السكانيّة ديانات أُخرى؛ كالمسيحيّة الأرثوذكسيّة. (21) تُعدّ كلّ من اللغتين الروسيّة والشيشانيّة هما اللغتان الرسميّتان في الشيشان، كما تنتشر بين النّاس مجموعة من اللهجات مثل لهجة الإنغوش، ولهجة باتسي المنتشرة بين المزارعين.

تُشكّل الثقافة الشعبيّة جُزءاً من المجتمع المحلي في جمهوريّة الشيشان؛ حيثُ تعكس جميع مكونات المجتمع طبيعة الثقافة السائدة بين النّاس، والتي تظهر في عدّة مظاهر مثل طريقة بناء المباني، فتُبنَى في المناطق الجبليّة المنازل المصمّمة من القش والطين والخشب، والمكوّنة من طابق واحد، (22)

وتظهر أيضاً الثقافة الشعبيّة في طبيعة انتشار مباني القُرى الشيشانيّة، والواقعة بجانب مصادر الموارد الطبيعيّة كالأراضي الزراعيّة والمياه، وتظهر على شكل مجموعات غير مُنظّمة من المباني، وتفقد وجود طُرق واضحة ومستقيمة؛ بسبب بنائها دون أي تخطيط على المناطق التابعة لضفاف الأنهار. (23)

7. ابخازيا:

تقع جمهورية أبخازيا على الساحل الشمالي الغربي للبحر الأسود على حدود القارتين الأسيوية و الأوربية، تحدها من الشمال الإتحاد الروسي و تحدها من الشرق جورجيا. الخارطة (20)

المساحة الإجمالية : 8700 كم مربع، طول الحدود البرية : 418 كم، طول الحدود الساحلية : 220 كم.عدد السكان: 240.705 نسمة



خارطة (16) موقع ابخازيا

التضاريس :

تغطي الجبال 64 % من ابخازيا و يعد أهمها جبل القوقاز و بزوبسكي و غاغرسكي و تشخالتسكي و كودوري و تصل أعلى قمة فيها إلى 4046 متر في جبال دومباي، أولجن.

الكهوف : كهف نوي في أفون و كهف أربايكا و الذي يعد الأعمق في العالم يصل عمقه إلى 1860م. (24)

تغطي الغابات 55 % من أراضي الجمهورية بمختلف أنواعها مثل : غابات البلوط و السنديان و النير و الكستناء و التنوب) بينما تنتشر الخضروات الإستوائية في المناطق الساحلية . (25)

أدى إنهيار الإتحاد السوفياتي إلى تفاقم الأوضاع بين جورجيا و أبخازيا و التي نتج عنها حرب ضارية في عامي (1992 – 1993) بين هاتين الدولتين، هزمت فيها القوات ا الجورجية و أخرجت منها بشكل كامل.

تعد اليوم جمهورية أبخازيا دولة مستقلة، في عام 2008 تم الإعتراف بسيادة جمهورية أبخازيا المستقلة من قبل العديد من الدول مثل : روسيا و فنزويلا و نيكارغوا و الناورو و فونواتو و توفالو.

داغستان:

إحدى جمهوريات الحكم الذاتي في اطار الاتحاد الروسي، تقع داغستان في وسط منطقة القوقاز. تحدها في الجنوب وجنوب الغرب كل من أذربيجان وجورجيا. وتحدها من الغرب والشمال أقاليم روسيا الاتحادية وهي جمهورية الشيشان وإقليم ستافروبول وجمهورية كالميكيا.

تعني كلمة داغستان باللغة التركية بلد الجبال. وبالفعل فان قسمي الجمهورية الجنوبي والوسطي تحتلهما جبال القوقاز التي تنبع منها انهار داغستان التي يبلغ عددها 1800نهرا. والتي بعضها انهار كبيرة مثل تيريك وسولاك وسامور وسامر ورابـاس وابار ونهر صولاق التي تلعب دور بالغ الاهمية في امداد منطقة القوقاز بالمياه ناهيك عن سلسلة المحطات الكهرمائية الواقعة على نهر سولاك التي تزود إقليم جنوب روسيا بالطاقة الكهربائية.

يشكل بحر قزوين الحدود الشرقية لداغستان بساحل طوله 400 كم، وتشترك حدودها الغربية مع جورجيا وشاشان أما الشمالية والشمالية الغربية فتشترك مع جمهورية روسيا الاتحادية وحدودها الجنوبية تشترك مع أذربيجان. وتبلغ مساحة داغستان 50.300 كم



خارطة (17) موقع داغستان

ومن معالمها كثبان ساري كوم الرملية التي يبلغ ارتفاعها 26 مترا. وأرض داغستان غنية بينابيع المياه المعدنية الشافية، وفي مصيف (تالغي) يمكن معالجة أمراض كثيرة. (26)

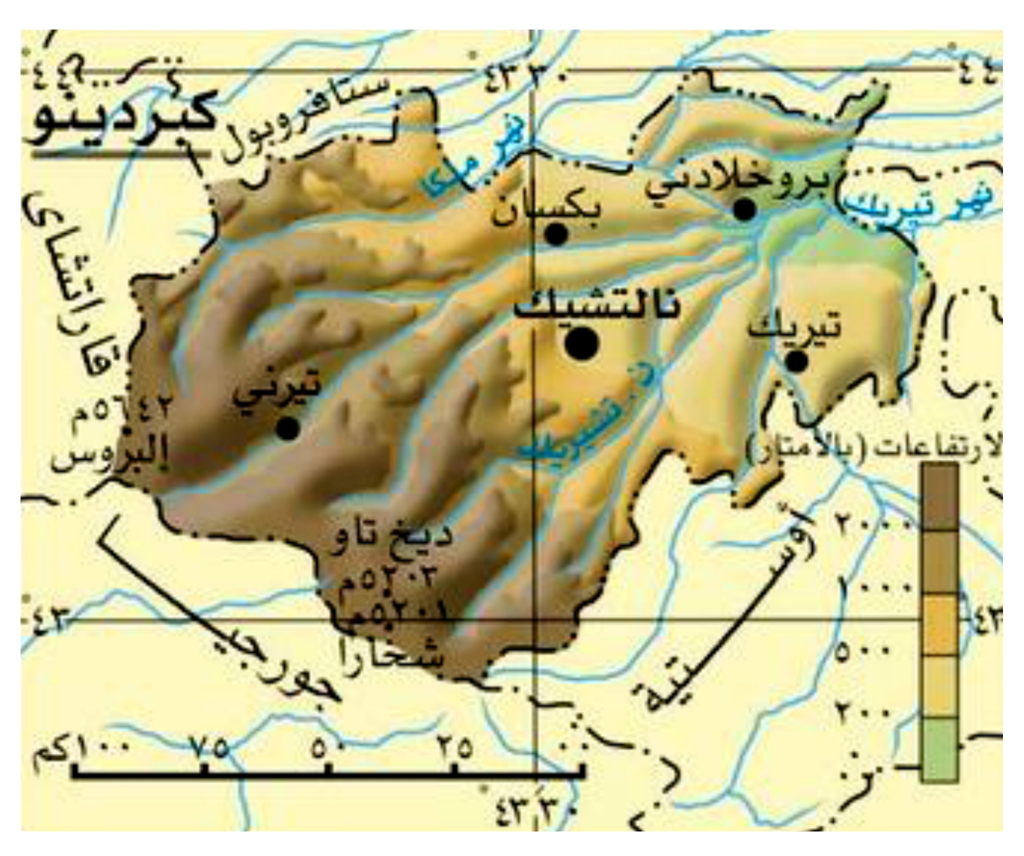
جمهورية قبردينو - بلقاريا:

جمهورية مستقلة، تحت اسم مزدوج هو: جمهورية كبردينو- بلكاريا، ضمن جمهورية روسيا الاتحادية. تقع على السفوح الشمالية لجبال القوقاز،. تحدها من الجنوب جورجيا ومن بقية الجهات جمهوريات روسيا الاتحادية وهي: من الشمال كراي ستارفوبل ومن الشرق جمهورية اوستيا الشمالية ومن الغرب جمهورية قاراتشي شركسيا.

تقع جمهورية قبردينو – بلقاريا في شمال القوقاز تبلغ مساحتها 12500 كم2 وعاصمتها نالتيشيك عدد سكانها (235 ألف نسمة). ويقع فيها قمة أعلى جبال القوقاز وهي قمة جبل البروس المغطاة بالثلوج على مدار العام، التي يبلغ ارتفاعها (5.642 م) والمرسومة على شعار وعلم الجمهورية.

تتكون تضاريسياً من جزأين: يسمى السهل الشمالي منها كبردينو والجنوبي الجبلي بلكاريا Balkaria. تتضمن جبالها أعلى ذرى القارة الأوربية، التي يربو ارتفاعها على 5000م مثل: جبل إلبروس El'brus على حدودها الجنوبية الغربية مع جورجيا وجبل ديخ تاو Dykh Tau على ارتفاع 5203م، وكذلك كوشختاو Koshkh Tau وشخارا Shkara ومزهرجي Mizhargi ارتفاعها (5025م). تميل بعامة نحو الشمال الشرقي.

وتأخذ شبكتها المائية في مجاريها العليا الاتجاه ذاته ضمن الأودية الجبلية حتى وصولها إلى المناطق السهلية، حيث تأخذ في الاتجاه نحو الشرق. ينطبق هذا على نهر تيريك Terek، الذي يمر في مجاريه العليا أحياناً ضمن أراضي جمهورية أوسّتيا، ومن ثم يتجه شرقاً إلى بحر قزوين مروراً بجمهوريات أوسّتيه والشّيشان وداغستان. يلتقي فيه شمالي بلدة تيريك (في شمال شرقي الجمهورية) مجرى قصير يمثّل روافده الثلاثة، التي تلتقي عند بلدة بروخلادني Prokhladnyy، ويأخذ كل منها اسم المنطقة أو المدينة التي يمر بها. (27)



خارطة (18) خريطة كبردينو-بلقاريا

جمهورية أوستيا الشمالية - ألانيا:

هي جمهورية ذات حكم ذاتي في روسيا الاتحادية عاصمتها فلديقوقاز، توجد في النطاق الشمالي من جبال القوقاز ، تحدها الشيشان و انجوشيا من الشرق، وقبردينو بلقاريا من الغرب، وجمهورية جورجيا من الجنوب، وباقي روسيا الاتحادية من الشمال وتبلغ مساحتها 8 ألف كيلومتر، وسكانها 700.000 نسمة.



خارطة (19) **موقع اوستيا الشمالية**

يبلغ عدد سكان الأوستيين الشماليين 700 ألف نسمة منهم 27 % منهم مسلمون، فإذا أضيفت الجماعات المسلمة الأخرى إليهم يصبح المسلمون حوالي 33 % من جملة السكان، وصلت اليهم الديانة الاسلامية من قبردينو بلقاريا، ودخلت في حلف مع قياصرة الروس فيسنة 784 م واستمر حكمهم للبلاد حتى انتقلت السلطة في روسيا إلى أيدي السوفييت فأسّسوا جمهوريتهم في عام 1936. (28)

قرتشاي تشركسيا:

هـي جمهوريـة ذات اسـتقلال ذاتـي في الاتحـاد الروسـي في شـمال غـرب القوقـاز، تحدها قبردينـو بلقاريا مـن الغـرب وجورجيـا مـن الجنـوب، وإقليـم سـتارفربول من الشـمال وتبلـغ مسـاحتها 14،100 كيلـو متر،وسـكانها 370،000 نسـمة وعاصمتهـا د تشيركيكسـكو يبلـغ عددسـكانها 92،000 نسـمة.

أرضهـا جبليـة في جملتهـا، وتنحـدر نحـو الشـمال، ومناخهـا قوقـازي بـارد في الشـتاء ومعتـدل في الصيـف، وأمطارهـا وفيـرة وتسـقط في الصيـف، والرعـي أهـم حرفـة لديهـم. وتشـكل الزراعـة قطاعـا لابـأس بـه مـن نشـاطهم الاقتصـادي، ورغـم أن اسـمهم أطلـق علـى الولايـة وعلـى عاصمتهـا، إلا أن الشـركس الاديغـة لا يمثلـون إلاحصـة ضئيلـة مـن سـكانها اذ يبلـغ عددهـم (47) ألفـاً ذلـك أن الشـركس مـروا بظـروف قاسـية مـن الاضطهـاد شـتت شـملهم. (29)



خارطة (20) الخريطة السياسية لقراتشاي – تشركيسيا

الفصـل الثـاني

دخول الديانة
الإسلامية الى المنطقتين

الفصل الثاني

دخول الديانة الإسلامية الى المنطقتين

كانت بداية الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر (وسط آسيا والقوقاز) في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13 - 23هـ).

بعد انتصار المسلمين في معركة نهاوند على الفرس سنة 21 للهجرة، حسم الجيش الإسلامي الصراع الطويل مع الدولة الساسانية فلم تقم للفرس قائمة بعد هذه المعركة، ووصل المسلمون إلى المدائن عاصمة الفرس في العراق، فكانت فتحًا عظيمًا للمسلمين حتى سُمِّيت هذه المعركة باسم: فتح الفتوح.

وبعد معركة نهاوند اتجهت أنظار المسلمين إلى آسيا، وأصبحت الرغبة في التوسع في المناطق المجاورة لدولة فارس من جهة الشرق، وبسبب اتساع هذه البلاد والتي تشكل اليوم أواسط قارة آسيا، لم يستطع المسلمون فتحها في معركة واحدة أو في زمن قائد عسكري واحد فقط، بل استمرّ الفتح أعوامًا طويلة، وتشير الروايات إلى أنّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أمر قادة المسلمين بالتوسع في آسيا بعد معركة نهاوند للسيطرة على المناطق التابعة لحكم الدولة الساسانية الساقطة في يد المسلمين.

فبعث الأحنف بن قيس التميمي إلى خراسان وبعث عاصم بن عاصم التميمي إلى سجستان، وقد دخل الأحنف خراسان وفتح مدينة الطبسين وتابع سيره إلى مدينة مرو الشاهجان، فسارع يزدجرد الفارسي إلى طلب العون من ملك الصين وملك الترك ودارت معركة بين التحالف الصيني التركي الفارسي والمسلمين انتهت بانتصار المسلمين وفتح خراسان على يد الأحنف (1)

حيث ارتبطت الفتوحات بالقائد العربي المسلم الأحنف بن قيس التميمي، الذي طارد الملك الفارسي "يزدجرد" شرقًا حتى نهر جيحون، الحدِّ الغربي لبلاد ما وراء النهر، وقد عاون خاقانُ الترك يزدجردَ، وكوَّنَا حلفًا لمواجهة المسلمين، وتمكَّنت قوات يزدجردَ من استعادة مدينة بَلْخ عاصمة إقليم خراسان، لكن الأحنف بن قيس لم يتأثَّر بذلك وَقَتَل ثلاثة من فرسان الترك، وأثَّر هذا الأمر فيهم فعادوا أدراجهم. (2)

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان- رض - (23 - 35هـ) دارت معركة بين الأحنف بن قيس من جهة وبين الأتراك الذين كانوا بطخارستان على حدود جيحون من ناحية أخرى، وقد انتهت المعركة بانتصار الأحنف وتوقيعه صلحًا مع أهل طخارستان. وقد

أعقب ذلك أن أرسل الأحنفُ قائدَه الأقرعَ بن حابس؛ ليتتبَّع الأتراك المتقهقرين إلى جبال الجوزجان، فأنجز الأقرع مهمته بالانتصار عليهم، وتمَّ له فتح الجوزجان، ويبدو أن هذه الانتصارات السريعة حفَّزت الأحنف فوصل بقوَّاته إلى خُوَارِزم إحدى بلاد ما وراء النهر، ثم عاد إلى بلخ قاعدة خراسان. (3)

الفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية :

في عام 54هـ اتجه عبد الله بن زياد مع جيشه الى خراسان، وقطع نهر جيحون إلى بخارى على الإبل (4)

وفي عام 56هـ وَلِيَ خراسان سعيد بن عثمان بن العاص فغزا سمرقند، وفي عهد يزيد بن معاوية تولَّى مسلم بن زياد ابن أبيه إمارة خراسان؛ فتجدد الصراع مع الأتراك واتَّحدت جيوش بخارى والصُّغْد وقوَّات تركيَّة من التركستان، لكن الجيوش الإسلاميَّة حقَّقت انتصارًا كبيرًا على الأتراك، وغنموا الغنائم الكثيرة.

ويبدو أن هذه المحاولات كانت مجرَّد تمهيد للفتح الإسلامي المنظَّم لهذه البلاد؛ إذ إن الفتوحات الحقيقيَّة لها كانت في عهد الوليد بن عبد الملك (86 – 96هـ)، والذي اشتهر في عهده القائد المظفَّر قتيبةُ بن مسلم الباهلي، وقد تولَّى أمر خراسان في عام 88هـ، وكان قد عَبَر نهر جيحون في المرحلة الأولى من جهاده (83 – 84هـ)، واستعاد منطقة طخارستان، ثم استعاد بخارى في المرحلة الثانية (87 – 89هـ)، وفي المرحلة الثالثة (90 – 93هـ) استطاع أن يرفع راية الإسلام في حوض نهر جيحون، وقد توجَّهت فتوحاته في المرحلة الرابعة من جهاده (94 – 96هـ) إلى ولايات سيحون، ثم دانت له ولايات أوزباكستان وطاجيكستان، وغيرهما من مناطق وسط آسيا، ونجح في نشر الدعوة الإسلاميَّة، وثبَّت دعائم الإسلام هناك، وبنى أوَّل مسجد في بخارى عام 94هـ، وواصل مسيرته حتى فتح مدينة كَاشْغَر، وقارَب حدود الصين. (5)

وقد انتهت حياة المجاهد الكبير قتيبة بن مسلم نهاية حزينة؛ حيث قُتِلَ على يَدِ أحد جنوده بعد سلسلة من الفتوحات المهمَّة، ثم تولَّى القيادة مِن بَعْده أخوه صالح بن مسلم، والذي أكمل فتح باقي منطقة فَرْغَانَة. (6)

وبعد وفاة الوليد بن عبد الملك عام 96هـ، وتولي سليمان بن عبد الملك الخلافة تقلَّصت عمليَّات الفتح الإسلامي، بل وقامت مجموعة من الثورات ضدَّ الدولة الإسلاميَّة في هذه المناطق، تمثَّلت في طموحات الأمراء الأتراك الذين أبقاهم الأُمويُّون يحكمون بلادهم تحت السيادة الإسلاميَّة، ومن أمثلة ذلك ثورة أمير فَرْغَانَة – بعد وفاة قتيبة

بـن مسـلم، ومحاولتـه اسـتعادة نفـوذه القـديم، وأيضًـا ثـورات بُخَـارَى وسَـمَرْقَنْد، لكـنَّ الخـلافـة الأمويَّـة لـم تتهـاون ﴿ مواجهـة تلـك الثـورات وقمعهـا، فأذعـن كثيـر مـن أمـراء هـذه البـلاد للخلافـة الأمويَّـة، وبـدأ كثيـر منهـم يدخلـون ﴿ ديـن اللّه، خاصَّـة ﴿ عهـد الخليفـة الأموي عمـر بـن عبـد العزيـز، وبعـده بـدءوا يتألَّفـون مـع المسـلمين العـرب(7)، بـل بـدءوا يُدافعـون عـن الإسـلام بحماسـة ضـدَّ الأتـراك الشـرقيين، الذيـن توالـت إغارتهـم علـى بـلاد مـا وراء النهـر، وأخـذوا يشـكِّلون خطـرًا علـى الخلافـة الأمويَّـة التـي تصـدَّت لذلـك الخطـر بجـرأة، وقـام الـولاة الأمويُّـون مثـل الجـراح بـن عبـد اللّه الحَكَمِـيِّ، وعبـد اللّه بـن معمـر اليَشْـكُرِيِّ، الـذي تابـع الغـزو ﴿ الجـزء الشـمالي الشـرقي مـن البـلاد(8).

وظلَّـت الخلافـة الأمويَّـة والأتـراك الشـرقيون ﴿ صـراع يتبادلـون النصـر والهزيمـة، حتـى تغلَّبـت كفَّـة الخلافـة الأمويَّـة علـى يَـدِ أسـد بـن عبـد اللّه القَسْـرِيِّ (117–131 هـ)، ونصـر بـن سـيار (121 – 129هـ). (9)

والـذي ينبغـي الإشـارة إليـه هنـا هـو أن تَعامُـل الفاتحـين المسلمين مـع أهـل هـذه البـلاد كان السـبب الرئيسـي ﴿ دخولهـم الإسـلام عـن قناعـة تامَّـة، وليـس أدلُّ علـى ذلـك مـن ترحيـب أهـل بلـخ بالقائـد المظفَّـر قتيبـة بـن مسـلم الباهلـي، وأيضًـا دخـول عـدد كبيـر مـن أهـل بخـارى ﴿ الإسـلام عـن إيمـان وعقيـدة بعـد أن انتصـر علـى ملكتهـم (خاتـون)، وكان قـد أشـار إليهـا بعـد أن عقـد معهـا الصلـح بـأن المسلمين لـم يأتـوا لاحتـلال "بُخَـارَى"، وإنمـا أَتَـوْا لنشـر شـريعة الإسـلام، وتبليـغ ديـن اللّه تعالـى.

الخلافة العباسية والمواجهة مع الصينيين:

وبعـد سـقوط الخلافـة الأمويَّـة وقيام الخلافـة العباسـيَّة عام 132هـ، واجـه العباسـيُّون خطـرًا جديـدًا، هـو الخطـر الصينـي؛ فقـد رتَّـب الصينيُّـون للسـيطرة لا علـى الأتـراك الشـرقيين فحسـب، وإنمـا علـى بـلاد مـا وراء النهـر ذاتهـا. (10)

والتقـى الجيشـان العباسـيُّ والصينـيُّ ﴿ معركـة طـالاس عـام (134هـ = 752م)، انتصـر فيهـا العباسـيُّون، وكان هـذا الانتصـار مـن أعظـم الانتصـارات ﴿ وسـط آسـيا. كانت معركـة طـلاس بـين الخلافـة العباسـية وعائلـة تانـغ الصينيـة للسـيطرة علـى اسـيا الوسـطى نقطـة تحـوّل ﴿ التغيّـر الشـامل للإسـلام ﴿ المنطقـة. معظـم خانـات التركيـة تحـوّلـت إلـى الإسـلام ﴿ القـرن العاشـر، يـوم 12 مايـو 922 م الـذي يُحتفـل بـه باعتبـاره عطلـة ﴿ العصـر الحديـث ﴿ تتارسـتان حـين دخـول احمـد بـن فضـلان سـفير الخليفـة المقتـدر بـاللّه ﴿ ولغـا ببلغاريـا.

كان لانتشار الإسلام في المنطقة تأثيرا عميقا على الثقافات المحلية في المنطقة التي شُكلت بها باعتبارها جزءا من الحضارة الإسلامية. وكان لانتشار الإسلام في المنطقة أيضا تأثير مزج الإسلام في الثقافات المحلية لتلك الشعوب، وخلق مظاهر جديدة من الشعائر الإسلامية.

وكان أثر الهزيمة على الصينيِّين شديدًا، إلى درجة أنهم تقاعسوا عن نصرة أمير أُشْرُوسَنَة (11) عندما استغاث بهم ضدَّ المسلمين، وكان هذا يعني أن العباسيين قد نجحوا في إبعاد الصينين عن المعركة، وبات على الأتراك الشرقيِّين أن يواجهوا المسلمين معتمدين على أنفسهم، وهو ما كان فوق طاقتهم؛ لأن العباسيين أَوْلَوا المنطقة عناية كبيرة، وواصلوا جهودهم إلى أن زال خطر الأتراك الشرقيين، فثبَّتَت الخلافة العباسيَّة سلطتها على هذه المناطق، وبدأ كثير من الأتراك في الدخول في دين اللّه أفواجًا. (12)

الفاتح الكبير قتيبة بن مسلم واستراتيجية الأربع مراحل :

وفي عام 86هـ (705م)، ولي قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان حتى عام 99هـ (717م)، فوضع خطة ذكية لفتوحاته في المنطقة، ارتكزت على 4 مراحل ينشط فيها خلال الربيع والصيف ويكنّ خلال الخريف والشتاء فكانت ثمار اجتهاده:

في المرحلة الأولى :

فتح طخارستان السفلى وهي أفغانستان اليوم وذلك في عام 86هـ (705م)

ثم قاد **في المرحلة الثانية**:

حملة كبيرة على بخارى فأتم فتح بيكمد ثم تومشكت وراميثه من نواحي بخارى وأخيرًا جميع إقليم بخارى بشكل كامل في عام 87هـ - 90هـ (706- 708م)

وفي **المرحلة الثالثة** :

فتح وادي جيحون كله (نهر أموداريا) في عام 91هـ (709م)، وجميع سجتسان في العام التالي 92هـ (710م)، ثم إقليم خوارزم في عام 93هـ (711م)، وتحولت سمرقند إلى سلطان الإسلام.

أما **المرحلة الرابعة** والأخيرة :

ففتح حوض نهر سيحون (سرداريا) بما فيه من مدن إلى نهاية فرغانة وذلك من 94

إلى 96هـ (712 إلى 714م)، ثم دخل أرض الصين في عام 96هـ عبر مقاطعة سنكيانج، وأصبحت كاشغر قاعدة إسلامية وآخر نقطة وصلت لها جيوش المسلمين الفاتحة شرقًا.

ولا شك أن شخصية قتيبة القيادية المزدانة بهمة مبهرة، وفضائل ومزايا متفردة جذبت لها الأتراك فأصبح محط ثقتهم واهتمامهم، وتجاوب معه السكان بقبول ورضى، وليس أدلُّ على ذلك من ترحيب أهل بلخ به وأيضًا دخول عدد كبير من أهل بخارى في الإسلام عن إيمان بعد أن انتصر على ملكتهم (خاتون).

وكانت سياسة الفاتحين مع من أسلم المعاملة بحق الأخوة، وأما من لم يسلم فوجبت عليه الجزية وله حقوقها، فأقبلت رؤوس الأتراك في هذه المناطق على الإسلام نتيجة المعاملة الحسنة للمسلمين الفاتحين وعدالتهم. وعاش الناس في استقرار وأمان تحت حكم الشريعة الإسلامية، بعد أن زالت الأديان الشركية والوثنية السابقة. وبنى أول مسجد في بخارى عام 94هـ في عصر قتيبة بن مسلم، وتعد منارته من أهم الآثار الإسلامية حتى الآن.

بسط المسلمون نفوذهم إلى جميع بلاد إيران من الحدود الشرقية للعراق إلى حوض السند وإلى فرغانة، وامتد إلى بلاد ما وراء النهر وإلى ما يليه شمالاً إلى بلاد الترك القرخانية في التركستان الصينية في حوض التاريم وبحيرة بلكاش، حيث المواطن الأولى للأتراك الغزية وهم أكبر وأكثر الأتراك أثرًا في تاريخ الإسلام.

فكان منهم الأوزبك والسلاجقة والعثمانيون ومعظم المماليك، وكان منهم الهياطلة أصحاب طخارستان، الذين دخلت بلادهم دولة الإسلام فدخلوا فيه، وكانت هضبة إيران قبل الإسلام قسمة بينهم وبين الإيرانيين فكانت تعرف باسم بلاد توران وإيران، وكان الإسلام هو الذي أزال الحواجز بين العنصرين كما وأن الإسلام هو الذي أدخلهم التاريخ وعالم الحضارة.

وأول دولة كانت لهم كانت دولة الغزنويين (القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي)، ويليهم في الأهمية الأوزبك الذين استقروا في بلاد ما وراء النهر، ثم الغوريون في جنوب شرق الهضبة وفي موضع أفغانستان اليوم.

ويلي الأتراك الغزية من جهة الغرب شمال تركستان منازل الأتراك القفجاق، ثم الترك الخزر شمالي البحر الأسود وفي جزيرة القرم ويليهم الأتراك البلغار جنوبي حوض نهر الطونة، وإلى شمالهم البشناق ثم الأتراك الإيغور (الأويراتية) .

أما المغول فكانت منازلهم من حوض التاريم وبحيرة بلكاش إلى صحراء جوبي وصحراء منغوليا حتى سور الصين، وكانوا باعداد ضخمة تعيش في خيام من شعر الماعز، ويلي ذلك شرقًا شعوب الصين إلى المحيط الهادي.

وراحت هذه الشعوب التركية تدخل بلاد الإسلام وتتحضر ولكن جماعات المغول كانت تدفعها شرقًا وكانوا يعيشون في سلام حتى قيام دولة خوارزم شاه فاستثارت جنكيز خان فسار بالمغول غربًا وغزا بلاد الأتراك والإيرانيين والعرب وقضى على الخلافة العباسية في بغداد.

ولكن الغزو المغولي انعطف انعطافة أخرى بفضل الإسلام بعد أن أسلم قسم كبير من المغول وتحولت سمرقند في عهد تيمور لنك –حفيد جنكيز خان– لعاصمة لهم.

ويرجع الفضل للإسلام أيضًا في انتقال الأتراك والمغول من حياة البداوة إلى الحضر. وبفضل قوة هذا الدين وجاذبيته للشعوب انتشر الإسلام شرقًا في غرب الصين وفي الهند وفي آسيا الوسطى وروسيا وسيبيريا. وبقي التتار وهم قبيلة من المغول، بدوًا لم يتحضر منهم إلا من دخل الإسلام وقد انتقلوا إلى الغرب وبلاد سيبيريا (13)

الأتراك ودورهم في نشر الديانة الإسلامية:

وكما نهج الأُمويون فقد استخدم العباسيُّون الأتراكَ في الإدارة، بل في الجيش نفسه، وهو ما شجَّع الأتراك على اعتناق الإسلام، وكان من ذلك أن أنشأ الفَضْل بن يحيى البرمكي فرقة كبيرة من الأتراك الغربيين بلغ عددها خمسين ألف مقاتل، أرسل إلى بغداد وحدها عشرين ألف مقاتل، أسماهم بالفرقة الخُوَارِزْمِيَّة، وذلك في عهد هارون الرشيد (170–193هـ)، وقد استنَّ الخليفة المأمون (198–218هـ) سُنَّةً جديدة، حيث دعا كثيرًا من زعماء الأتراك إلى الدخول في خدمته في بغداد، ومَنَحَهُم الصلات والعطايا، وألحق كثيرًا من فرسانهم في الحرس الخليفي.

وفي عهد الخليفة المعتصم (218–227هـ) زاد الإسلام تمكُّنًا في بلاد ما وراء النهر، حتى إن الأتراك الغربيين أنفسهم أصبحوا جند الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الإسلام ونَشْرِه بين الأتراك الشرقيين؛ يقول البَلاذُري: "والمعتصم بالله جُلُّ شهود عسكره من جند أهل ما وراء النهر، من الصُّغْد والفراغنة وأهل الشاش وغيرهم، وحضر ملوكهم ببابه، وغلب الإسلام على ما هناك، وصار أهل تلك البلاد يغزون مَن وراءَهم مِن الترك، ففتح مواضع لم يَصِلْ إليها أحد من قبله".

وهكذا استطاع العباسيُّون تحقيق نجاحات هائلة، حتى إن الثقافة الإسلاميَّة توطَّدت بين أهل تلك البلاد، وقد بدء أهلها يتعلَّمون اللغة العربيَّة، وحفظ القرآن الكريم، وإن كانت المراكز الثقافيَّة لم تبرُز في هذه البلاد، وخاصَّة في بخارى وسمرقند، إلا في عهد الطاهريين (205 – 259هـ = 820 – 873م)، الذين اتَّخذوا نيسابور في خراسان قاعدة لهم، وكان لظهورهم دفعة قويَّة للإسلام في بلاد ما وراء النهر. (14)

اعتناق شعوب القوقاز للديانة الإسلامية:

تعود الاتصالات الأولى بين العالم الإسلامي وشعوب القوقاز التي انضمت فيما بعد إلى الدولة الروسية، إلى القرنين السابع والثامن الميلاديين. ففي منتصف القرن السابع وصلت الفتوحات الإسلامية إلى شمال القوقاز وآسيا الوسطى. وبحلول مطلع القرن الثامن تمكن العرب من فرض سيطرتهم على جنوب القوقاز وما وراء النهر وخوارزم وفرغانة. وكان من بين نتائج الفتوحات إنشاء فضاء سياسي-اجتماعي موحد وانتشار واسع للدين الإسلامي فيه.

ولم يتوقف انتشار الإسلام بعد تفكك الخلافة كنظام حكم موحد في القرن التاسع الهجري، وذلك بفضل تعزيز العلاقات التجارية بين الشرقين الأدنى والأوسط ومناطق وسط أوراسيا بما فيها روسيا القديمة. ويبدو أن أوائل المسلمين الذين عرفهم الروس، كانوا من سكان بلاد الخزر، حيث كان الإسلام منتشرا بالإضافة إلى اليهودية والمسيحية .

ولعب شعب البولغار الذي كانت له دولة قوية في حوض نهر الفولغا في الفترة بين القرنين العاشر والثالث عشر، دورا مهما في تاريخ العلاقات بين روسيا والعالم الإسلامي. وصار الإسلام دينا رسميا للدولة في إمارة البولغار في العام 922م، عندما وصلت إلى بلاط الخان بعثة من الخليفة المقتدر وهذا بطلب من خان البولغار نفسه. وكان من بين أعضاء البعثة أحمد ابن فضلان الذي ترك لنا كتابه المعروف بـ"رحلة ابن فضلان" والذي وصف فيه البلدان التي عبرتها البعثة في طريقها إلى بلاد البولغار والشعوب التي رآها. وحسب "رحلة ابن فضلان"، كان اسم ملك البولغار ألمش بن يلطوار الذي توجه إلى الخليفة بطلب أن يرسل إليه من "يفقه في شؤون الدين لكي يعرفه بشرائع الإسلام ويبني له مسجدا وينصب له منبرا ليقيم عليه الدعوة في بلده وجميع مملكته.

على الرغم من الخلافات والحروب التي كانت تندلع بين روسيا ومملكة البولغار،

تشير أسفار التاريخ الروسية القديمة إلى أن حاكم روسيا الأمير فلاديمير (تولى الحكم في عام 960م وظل على العرش حتى وفاته في عام 1015م)، عندما قرر اعتناق إحدى الديانات السماوية، طلب من البولغار إرسال رجال دين يوضحون له مبادئ الدين الإسلامي، هذا بجانب المبشرين اليهود والمسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس.

وعلى الرغم من أن فلاديمير اختار، في نهاية المطاف، المسيحية الأرثوذكسية، إلا أن من الواضح أنه فكر جديا في إمكانية جعل الإسلام دين الدولة في روسيا. وحسب "أخبار الأعوام الغابرة" أحد أشهر أسفار التاريخ الروسية، جاء إلى فلاديمير في عام 986 من بلاد البولغار أتباع العقيدة الاسلامية وحدثوه عن دينهم. وقد أعجب فلاديمير بالحديث عن الدنيا والآخرة والجنة، لكنه لم يكن راضيا أبدا عن تحريم أكل لحم الخنزير و تحريم شرب الخمر، وقال الأمير، رافضا الدين الإسلامي: "راحتنا في خمرنا". وحسب بعض المؤرخين المسلمين، فإن الأمير فلاديمير بعث بوفد إلى خوارزم لجمع المعلومات عن حياة المسلمين، ويضيف المؤرخون أن أربعة من أعضاء الوفد أسلموا. (15)

المناطق في روسيا ذات الأغلبية المسلمة:

يعتبر الإسلام الدين الثاني في روسيا من حيث عدد أتباعه. وحسب نتائج الإحصاء العام الأخير للسكان الذي اجري في روسيا عام 2002، بلغ مجمل أفراد الشعوب التي تدين بالاسلام تاريخيا نحو 14.5 مليون شخص، أي قرابة 10 % من عدد سكان البلاد.

ويشكل المسلمون أغلبية في سبعة أقاليم روسية هي انغوشيا نحو 98 %، وفي الشيشان 9 6% وداغستان 94 %، وقبردينو بلقاريا 70 %، وقره شاي شركيسيا 63 %، وبشكيريا 63 %، وتتارستان 54 %. ويزداد عدد المسلمين في روسيا سنويا، بسبب معدل المواليد المرتفع في الأقاليم التي تقطنها أغلبية مسلمة بالإضافة إلى تدفق المهاجرين من دول اسيا الوسطى وأذربيجان إلى الأراضي الروسية. وتجدر الإشارة إلى أن معظم المسلمين في روسيا من اهل السنة من أتباع المذهبين الحنفي والشافعي. ويدين نحو 40 شعبا من شعوب روسيا تاريخيا بالإسلام، ومنها شعوب تقطن في منطقة الفولغا والأورال وفي سيبيريا، وهي بالدرجة الأولى:

- البشكير الذين يتكلمون لغة من عائلة اللغات التركية. ويقطن البشكير في جنوب الأورال والمناطق المحاذية لجبال الأورال، ويبلغ عددهم نحو 1.3 مليون نسمة.
- التتار الذين يتكلمون اللغة التتارية التي أيضا تنتمي إلى عائلة اللغات التركية. ويعيش التتار في مناطق مختلفة من روسيا، بما فيها المناطق المحاذية للفولغا

وجبال الأورال، وسيبيريا، ومنطقة أستراخان. ويبلغ عدد التتار نحو 6 ملايين نسمة، علما بأن معظمهم مسلمون لكن يوجد بينهم مسيحيون أرثوذكس أيضا.

- في شمال القوقاز توجد عشرات الشعوب المسلمة، بينها الآفار، يعيشون في جمهورية داغستان، وعددهم نحو 544 ألف نسمة، والأباظة يعيشون في قره شاي شركيسيا وجنوب جمهورية أديغا وعددهم 33 ألف نسمة، وشعب الأغول يعيشون في داغستان وعددهم 18 ألف شخص، والأديغ يعيشون في جمهورية أديغيا وعددهم 123 ألف شخص، والبلقار يعيشون في قبردينو بلقاريا وعددهم 78 ألف شخص، وشعب الدارغين يعيشون في داغستان وعددهم 353 ألف نسمة، والإنغوش يعيشون في جمهورية إنغوشيا وعددهم 215 ألف نسمة، والقبردين يعيشون في قبردينو بلقاريا وعددهم 386 ألف نسمة، والقرة شاي يعيشون في قره شاي شركيسيا وعددهم 150 ألف نسمة، والكوميك يعيشون في داغستان وعددهم 277 ألف نسمة، والليزغين يعيشون في جنوب شرق داغستان وعددهم 257 ألف نسمة، والنوغاي يعيشون في داغستان وقره شاي شركيسيا وجمهورية الشيشان وعددهم 74 ألف نسمة، والشركس يعيشون في قره شاي شركسيا وعددهم 50 ألف شخص، والشيشان يعيشون في جمهورية الشيشان وعددهم نحو 900 ألف شخص، والذين يعيشون في داغستان وعددهم 180 ألف نسمة (16)



خارطة (21) المناطق التي يوجد فيها المسلمون في شمالي القوقاز

الزحف الروسي في وسط اسيا:

لقد خاض الروس مع المسلمين حروب إبادةً جماعيَّةً، وأيضًا حملات التنصير الإجباري، التي انطلقت منذ عهد إيفان الثالث في عام (885هـ / 1480م)، وهو قائد الحملة الكبيرة التي أخرجت المسلمين التتار من موسكو بعد أن بقيت تحت حكمهم قرابة 240 عامًا، واستمر العدوان الروسي في عهد فاسيلي الثالث بن إيفان الثالث، فطلب منه البابا أن يعجل بطَرد المسلمين إلى سيبيريا وتشتيت شملهم فيها، واعدًا إياه بالقسطنطينية التي محمد الفاتح العثماني في ربيع الاخر عام 857هـ في ابريل – نيسان عام 1453م.

ثمَّ ما لبث عهد إيفان الرهيب أن ينقضي، حتى خلفه بُطرس (1092– 1138هـ) (1682 – 1725م)، الذي يلقّبه المتعصبون الروس بـ «العظيم»؛ الذي فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو التّشريد من أراضيهم وأوطانهم، وقد بدأ القيصر الروسي الجديد بالاتجاه جنوبًا إلى شمال البحر الأسود في منطقة أزوف، فاحتلّها عام (1108هـ/1696م)، ولكن الدولة العثمانية استعادتها سنة (1112هـ/1700م)، بينما منعت المقاومة الشرسة الروس من الاستيلاء على القوقاز سنة (1135هـ/1722م). ولكن أخطر هؤلاء القياصرة كان إيفان الرابع أو «الرهيب» كما أطلق عليه المسلمون هذا اللقب؛ الذي شن حرب إبادةٍ شاملةٍ ضدَّ المسلمين تحاكي حروب محاكم التفتيش في الأندلس، حيثُ أطلق آلة التّنصيرٍ أو النفي من البلاد على كل مسلم.

وتسببت هذه السياسة في تنصير الكثير من التتار والبشكير المسلمين القاطنين على ضفاف نحر الفولغا.، لكن بشكل ظاهري خوفًا على أنفسهم وأسرهم فكتموا إسلامهم سرًا على مدى 3 قرون، ولكنّهم سرعان ما أظهروه عند أول انفراجة عرفتها البلاد.

ثم أعقب هذه الحقبة عصر الإمبراطورة الروسية «حنا» (1151 – 1169هـ) (1738–1755م)، والتي انتهجت نفس سبيل من سبقها، ففرضت التنصير على المجرى الأوسط لنهر الفولجا، وأغلقت المدارس والمساجد، ومنعت جميع شعائر الإسلام، وأصدرت أمرًا بإحسان المعاملة مع المرتدين عن هذا الدين إلى النصرانية وإعفائهم من الضرائب والخدمة العسكرية، وشهد عصرها خطف الأطفال الصغار وإدخالهم في مدارس تبشيرية ليَنْشَؤوا على النصرانية الأرثوذكسية.

وتوسعت روسيا بشكل هائل في أراضي المسلمين في عهد «كاترين» (1176 – 1211هـ) (1762 – 1796م)؛ حيث عمدت لمصادرة مئات الألوف من أخصب أراضي تتار القرم،

مقابل سياسة متسامحة نسبيًا مع المسلمين، تمنحهم بعض الحرية الدينية، لكنها سياسة ما لبثت أن تغيرت في عصر القياصرة الروس من بعدها، كـ «نيكولا الأول» الذي سار على نهج من سبقه من قمع واضطهاد للمسلمين، واحتل طشقند وسمرقند.

واستمر الاحتلال الروسي لآسيا الوسطى بشكله الأول منذ 1890 إلى 1917م، يسير وفق استراتيجية نزع ملكية الأراضي وتمليكها لأكثر من مليون ونصف مليون من المحتلين الروس، والاستيلاء على أراضي التركستان الذين وقعوا في فخ الدّيون وعجزوا عن سدادها، كما فرضت اللغة والثقافة الروسية على شعوب المنطقة. وإمعانًا في الحرب على الإسلام وسعيًا لمسح أصوله من الوجود في البلاد انتشر التنصير الإجباري على مذهب النصرانية الأرثوذكسية. (17)

مقاومة المسلمين للاحتلال الروسي:

وبالرغم من ظلام هذا المشهد وقسوته كان هنالك نور يضيء من زاويةٍ ما، إنها زاوية الجهاد والمقاومة التي أجهضت خطط الاحتلال الروسي الغاشم. شهدت هذه المرحلة عناوين لافتةً للمقاومة والجهاد، وكان أبرزها: الإمام منصور في عهد كاترين، والإمامين غازي محمد وحمزات (1824–1834م) والإمام شامل في عهد نيكولا.

لقد كان منطقيًا وضروريًا أن تطور شعوب المنطقة مقاومة للاحتلال الروسي بالرغم من ضعفها المادي فشهدت البلاد ارتفاع روح المقاومة ودعوة الجهاد في أروع صورها في عهد كاترين، وذلك على يد الإمام منصور، الذي تجرعت على يده روسيا الهزائم المتتالية في الشيشان والداغستان، وقد حملت هذه الشخصيَّة الإسلاميَّة القوقازيَّة راية الجهاد لم تفتر لها همة ولم تقف عند حد تضحياتها التي برزت بشكل لافت في مشهد الحرب الروسيَّة التركيَّة في عام 1787م ملبية نداء الأتراك.

لقد سجل الإمام منصور انتصارات كبيرة بقيت مدونةً في أذهان الروس إلى أن قتلوه في قلعة «أنابا» على ساحل البحر الأسود، فوقع البطل شهيدًا في أرض المعركة في عام 1794م بعد رحلة جهادٍ استمرت نحو عشر سنوات ضّد القّيصريَة الرّوسيّة.

أما الإمام غازي محمد الداغستاني فهو قائد وإمام قوقازي، ولد في قرية غيمري الداغستانية، واستشهد عام 1832م بعد مواجهته للروس أشدّ ما تكون المواجهة منذ عام 1824م إلى آخر رمق.

وكان رفيق دربه في هذه المقاومة الإمام «حمزات»، والذي خلف الإمام غازي بعد

استشهاده وبقي ثابتًا على العهد حتى لقي ربه في عام 1834م، ليخلفه الإمام شامل. وهكذا استمرت مسيرة الإباء من قائدٍ إلى آخر تتوارث العهد بوفاء.

وارتفع ذكر «الإمام شامل» الذي جمع شمل كافة شعوب شمال القوقاز للقتال تحت قيادته، واستمر على هذه الحال 25 سنة. ويعد الإمام شامل أحد أشهر أعلام الأمة الإسلامية المجاهدين ضد الاحتلال الروسي (1797 - 1871م)، والذي لقبه المسلمون بـ «أسد القفقاس» و «صقر الجبال». ولا عجب أن بقي اسم هذا الإمام متوارثًا في التراث الشعبي القوقازي من أناشيد حماسية وقصص بطولية إلى يومنا هذا. وما زال جهاده يلهم الأجيال الجديدة رغم بعد المسافة الزمنيّة بين العصرين الماضي والحاضر.

لقد تعاظمت قوة الحركة الجهادية تحت قيادة الإمام شامل، فشكلت عقبةً صلبةً أمام الحملات الروسية الصليبية، وبفضل حرب العصابات التي أتقن فنونها الإمام شامل وجنده تجرع الروس مرارة الهزيمة مرارًا وتكرارً، كان أشدها غصاصة هزيمة جيوش القيصر نيكولا الأول (1825–1855م)، في عام 1837م، عندما واجههم الإمام شامل فقلب أحلامهم إلى كوابيس، وبدل سحق المقاومة في داغستان انهزموا راجعين، فزادت شعبية الإمام.

ولم يتمكن الروس بعد ذلك من القضاء على الإمام شامل رغم استعانتهم بالخونة والجواسيس، مما دفع الإمام شامل إلى نقل مقر قيادته إلى الشيشان، حيث استقبله قبائلها أحسن استقبال

وبدأت مرحلة جديدة من استنزاف الروس، في ملاحم بطولية لا يزال التاريخ الشيشاني يتوارثها بفخر واعتزاز، مما اضطر الروس إلى الانسحاب من الشيشان، ومن مناطق شاسعة في القوقاز، بعد أن تحولت جبالها الوعرة وتضاريسها الوعرة إلى مقبرة لجيوش القياصرة فتيسر للإمام شامل حينها إقامة دولة قوقازية مستقلة، عرفت باسم «دولة شعوب القوقاز الموحّدة»، نظامها الشريعة الإسلامية، وتقوم عليها محاكم شرعية، كما ركز جهوده على تشييد القلاع ومصانع السلاح والبارود، ونشطت في ذات الوقت حركة الدعوة الإسلامية، فوصلت شهرة هذا الإمام لكل أنحاء أوروبا.

وقد ساند الإمام شامل العثمانيين في حرب القرم (1853–1856م) ضد الروس، وهي الحرب التي هزموا فيها شر هزيمة، ولم تتمكن روح الانتقام الروسية من تحقيق أي انتصار على الإمام شامل، لكن ما إن توقفت حرب القرم، حتى تنكرت الجيوش

العثمانية والإنجليزية والفرنسية المتحالفة لوعودهم للإمام شامل قبيل حرب القرم، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام جيوش «القيصر ألكسندر الثاني» (1855–1881م)، لاجتياح الإقليم بهدف إسقاط دولة الإمام شامل.

وجاءت هذه التطورات تزامنًا مع انشغال الإمام شامل بتصفية حسابات الخونة والمرتزقة بعد شراء الروس لذِمَم من هم حوله، وكان على رأس من باعه «الحاج مراد» زعيم قبائل الداغستان، والرَجل الثاني في الحركة الجهادية بعد الإمام شامل، الذي غدر بأميره، ولكنه ما لبث أن انتقل لصف الروس حتى اختلف معهم وانقلبوا عليه وقتلوه، ولم يحققوا له شيئًا مما كان يطمح إليه.

من جانبها تخلت دول العالم عن هذا الإقليم وفتحوا الطريق واسعًا للعدوان الرّوسي الذي دخل بجيش قوامه 280 ألف مقاتل، فأطبقوا الحصار على الإمام شامل ليخسر أغلب جنوده وأسلحته ومؤنه ووفاء من كان يظنهم أصدقاء، فلم يصمد أمام هذه الظروف واعتقله الرّوس في 6 سبتمبر 1859م، وبقي في السجن إلى أن استجابوا لطلبه في الذهاب إلى الحج وكان شيخًا مسنًا، وبالفعل أدى فريضة الحج سنة 1287هـ/1871م، ولكن الله كتب له الموت الذي كان ينتظره في المدينة المنورة فلقي ربه في أرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ودفن في البقيع عن عمر يناهز 75 عامًا.

فبعد إعلان نهاية حرب القوقاز عام 1864م، سقط الجدار الذي كان يحمي دول آسيا الوسطى الإسلامية من الاحتلال الرّوسي، وبدأت تسقط قلاعها تباعًا في يد الرّوس، وفي أقل من عام سقطت طشقند ثم سائر بلاد التركستان، لكن مما يجدر ذكره في هذا المقام أن هذا التقدم كان على حساب دماء الرّوس وأموالهم حيث كانت هذه الأراضي مقبرة لجيوش القياصرة. وتتحدث الأرقام عن خسارة الرّوس 1.5 مليون جندي في هذا الإقليم، ما بين تولي «كاترين» العرش سنة 1762م وحتى سنة 1864م لم يرجع منهم أحد قط. (18)

ومن المفارقات العجيبة أن قادة الثورة وعلى رأسهم «لينين» كانوا يطلبون مساعدة المسلمين في إسقاط هذا النظام الروسي المجرم، وقد تمكنوا من خداع المسلمين، ومن كلمات لينين للمسلمين آنذاك :

ثوروا من اجل دينكم وقرانكم وحريتكم في العبادة.

وإمعانًا في استمالة المسلمين قدّم لينين مصحف عثمان –رضي الله عنه– الذي كان بحوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في بتروغراد.

وانتصرت الثورة الشيوعية سنة 1917م، ووصل البلاشفة للسلطة بعد سلسلة من الصراعات الداخلية انتهت بتقلد «حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي» بقيادة فلاديمير لينين الحكم ليلة 25 أكتوبر/تشرين الأول عام 1917م.

وأطلق البلاشفة بعد ذلك حزمة إصلاحات كان أبرزها الفصل بين الكنيسة والدولة وتأميم المصانع ورقابة العمال على المنشآت الصناعية، مما أدى إلى مواجهة محتدمة مع الاشتراكيين «المناشفة» وتحولت روسيا إلى حرب أهلية دامت رحاها خمس سنوات من (1917-1922م)، انتصر فيها البلاشفة بقوة الحديد والنار عبر أجهزة الأمن السياسي وكتائب «الجيش الأحمر».

الاتحاد السوفيتي يظهر على الساحة العالمية:

وأعقب هذا النصر البلشفي قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في 30 ديسمبر/كانون الأول 1922م، الذي شمل كل من جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية وجمهورية أوكرانيا وجمهورية بيلاروسيا وجمهورية ما وراء القوقاز، واتخذ عاصمة له موسكو بدل بتروغراد التي تحولت إلى لينيغراد ثم سان بطرس بورغ في عام 1991م.

وضم الاتحاد إلى سلطانه خلال 1924-1940م جمهوريات أوزبكستان وتركمانستان (1924م)، وطاجكستان (1929م)، وأذربيجان وكازاخستان وقرغيزستان (1936م)، وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا ومولدافيا (1940م). وبعد وفاة لينين عام 1924م خلفه جوزيف ستالين، فقضى على خصومه وأصدر دستورًا جديدًا مكنه من سلطات دكتاتورية مطلقة.

وما لبث أن تمكن ستالين من السلطة حتى اقتلع تتار القرم من مواطنهم، وشهدت حقبته تطهيرًا عرقيًا ممنهجًا استهدف شعوب الجمهوريات والمناطق الإسلامية في القوقاز وتركستان وتترستان، فراح ضحية ذلك مئات الآلاف وهجّر الملايين من المسلمين إجباريًا من بلدانهم، وتم العمل على التغيير الديموغرافي بجلب الروسيين فيما يقدر بـ 12 مليون روسي استوطنوا البلاد.

واحتلت القوات الروسية أوزبكستان وطاجيكستان وكزاخستان وتركمانستان، ولم يكن احتلالًا عسكريًا فحسب، بل رافقه احتلال سياسي واقتصادي وثقافي ولغوي، فحرم المسلمون من أداء شعائر الإسلام وهدمت مساجدهم وأغلقت مدارسهم وألغيت المحاكم الشرعية، ومُنعت الكتابة بالحرف العربي وفُرضت على المسلمين اللغة الروسية والأيديولوجيا الشيوعية..

وكما هي طبيعة كل محتل فقد أمعن الروس في نهب ثروات المنطقة وانتهاك حقوق أهلها وتحويلها لمختبر تجارب لأنواع أسلحتهم بما فيها النووية، فقد سجلت بعض الدراسات ضحايا المسلمين على أيدي الروس ما يزيد عن 20 مليون مسلم قتلوا خلال نصف قرن فقط في حملة إبادة عرقية ممنهجة.

وامتد نفوذ الشيوعية وسلطانها على جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمسة عشر، والتي منها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها، واستولى الشيوعيون في آسيا على أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وكازاخستان وقيرغيزستان وجورجيا وأرمينيا فترات مختلفة، وفي قارة أوروبا استولوا على داغستان والشيشان وقبردينو وبلغاريا والقرم وماري وأودمورتيا وتشوفاشيا وتتارية وأورنبرج وبشكيريا واستينا الشمالية. ولعب التغيير الديمغرافي المنهج دورًا حاسمًا في تغيير نسب المسلمين في دول وسط آسيا، فقد تأثر عددهم بشكل لافت بعد حملات التهجير الإجبارية والتنصير بالقوة، وتوطين العرقيات. (19)

ينتمي معظم الآسيويين المركزيين إلى ديانات تم إدخالها إلى المنطقة خلال 1500 عام الماضية، بمذاهب وفرق متعددة مثل : السنة والشيعة والاسماعيلية والتنغرية والمسيحية السريانية .ومع ذلك، تم إدخال البوذية إلى آ سيا الوسطى منذ أكثر من 2200 عام، والزراشتية منذ أكثر من 2500 عام.

جدول يبين اعداد المسلمين في دول المنطقتين

الدين	عدد السكان التقريبي	وسط السكان
المسلمون السنة	103000000	جنوب وشرق المنطقةطاجيكستان تركمانستان قيرغيستان ، أوزبكستان ، أفغانستان وجنوب كازاخستان
البوذيون	9084000	500 ألف في روسيا ، 8.44 مليون في شينجيانج ، 140 ألف في كازاخستان وأفغانستان ؛
الشيعة	4000000	هزارة في أفغانستان . بينما عدد كبير منهم من السنة .
المسيحيون الشرقيون	4000000	بشكل رئيسي في شمال كازاخستان توجد مجتمعات كبيرة أيضًا في الجمهوريات السوفيتية الأربع الأخرى في المنطقة.
الملحدون	2500000+	في جميع أنحاء المنطقة
المسيحيون الغربيون	510000	كازاخستان
اليهود	27500	اوزبكستان
الزراديشت	10000	تاريخيا افغانستان

World population prospect – p[pulation united Department.un.org.division population of “economic and Social Affaris” 2019.

الفصل الثالث

التكوين الاثنوغرافي في آسيا الوسطى والقوقاز

الفصل الثالث

التكوين الاثنوغرافي في آسيا الوسطى والقوقاز

الأصول الاثنية لشعوب المنطقة:

يستخدم مصطلح «ترك» Turkic للتعبير بشكل واسع عن مجموعة الإثنيات اللغوية لهذه الشعوب، ومثال على ذلك الآذاريون والكازاخ والتتار والقيرغيز والأوزبك والتشوفاش وأتراك الجمهورية التركية والتركمان والويغور. وكذلك، لشعوب قديمة انقرض معظمها أو ذاب في شعوب أخرى، مثل الهون والبلغار والكومان والقبجاق، وغيرها.

والشعوب التركية هي شعوب أوروآسيوية تقيم في شمال ووسط وغرب أورآسيا، وتتكلم لغات تنتمي إلى عائلة اللغات التركية، وتتشارك فيما بينها بنسب متفاوتة في سمات ثقافية وتاريخية محددة. تعد آسيا الوسطى هي الموطن الأصلي للشعوب التركية، أو الطورانية أو الألطائية، ولكل من هذه الشعوب إقليمه ومنطقته المميزة. ومع ظهور الهجرات القديمة انتشرت اللغات التركية إلى مناطق أخرى، مثل آسيا الصغرى والأناضول (الجمهورية التركية حاليًا)، وحتى وسط روسياوجنوبها.

وحاليًا تتوزع الشعوب ذات الخلفية الثقافية واللغوية التركية في المنطقة الممتدة من سيبيريا في شرق روسيا، مرورًا بمنطقة وسط آسيا حتى أوروبا الشرقية.

يوجد أكبر تجمع للدول والشعوب التركية في منطقة وسط آسيا، التي تضم جمهوريات كازاخستان وتركمانستان وقيرغيزستان وأذربيجان وأوزبكستان، إضافة إلى تركيا، ومن بعدها جمهورية أذربيجان في القوقاز. كما تعيش الشعوب التركية أقليات ضمن أقاليم دول أخرى، مثل شبه جزيرة القرم في أوكرانيا (الان تابعة لروسيا)، وتركستان الشرقية (سنكيانغ في الصين)، و شمال العراق، وإيران، و وفلسطين ، وروسيا (وأكبرها التتار والباشكير والتشوفاش) وأفغانستان (التركمان والأوزبك) وقبرص، والبلقان، ومولدوفا، ويوغوسلافيا السابقة، وبلغاريا، ورومانيا، إضافة إلى وجود أقليات صغيرة في كل من ليتوانيا، وشرق بولندا، وجنوب شرقي فنلندا، إضافة إلى الجالية الكبيرة لمواطني تركيا المهاجرين في القرن العشرين ك الى كل من ألمانيا، والولايات المتحدة،وأستراليا. وتنقسم الشعوب التركية أساسًا إلى ست قبائل رئيسية هي: الأوغوز، والقبجاق (الكيبتشاك)، والقارلوق (الكارلوك)، الغواش، الياكوت والسيبيريون. وتوصف قبيلة الأوغوز بالأتراك الغربيين، بينما توصف القبائل الخمس الأخرى بالأتراك الشرقيين.

ويرى الكاتب يوسف قبلان في صحيفة «يني شفق» القريبة من الحكومة في تركيا، أن بلاده في حاجة إلى أن تتواجد في منطقتها أولاً حتى تكون لديها القدرة على التأثير، ويعتقد أن الفكر في تركيا لم يصل إلى مرحلة الفكر الحضاري القائم على أسس متينة. فالمشهد في تركيا مليء بمفكرين يعتنقون تصورات غربية ويتحدثون عن الحضارة، وكأنهم يتحدثون عن الدين، أو يحلون الحضارة محل الدين.

وفيما يلي مختصر لواقع الشعوب التركية اليوم:

- الأتراك (سكان تركيا) موطنهم تركيا، يقدرون بـ70 مليون نسمة، ديانتهم ومذهبهم الإسلام السني.
- الآذريون (جمهورية أذربيجان وإيران)، 35 مليونًا، مسلمون شيعة.
- الأوزبك (جمهورية أوزبكستان وأفغانستان)، نحو 29 مليونًا، مسلمون سُنة.
- الكازاخ (جمهورية كازاخستان وروسيا والصين)، نحو 14 مليونًا، مسلمون سُنة.
- الويغور (غرب الصين)، 9 ملايين، مسلمون سُنة.
- التتار (روسيا وأوكرانيا)، 9 ملايين، مسلمون سُنة.
- التركمان (جمهورية تركمانستان وعدة دول أخرى)، 8 ملايين، مسلمون سُنة.(1)

لقد وجد الكثير من القوميات نفسه كأقليات عرقية وقومية مهمشة في معظم الأحيان، مثل الأوزبك في قرغيزستان وكزاخستان وتركمانستان وطاجيكستان، والطاجيك في أوزبكستان والقرغيز في أوزبكستان وطاجيكستان خصوصا في مثلث وادي فرغانة حيث تتلاقى حدود الدول الثلاث معا .

مع أن الخلافات الحدودية واتهامات التدخل في الشؤون الداخلية لم تصل إلى حد الحروب والمعارك بين هذه الدول غير أن العلاقات الطاجيكية الأوزبكية ما زالت تشهد توترا مستمرا تصل لحد غلق الحدود وتبادل الاتهامات بدعم المعارضة المسلحة لكل دولة .

لقد ساعدت أوزبكستان بجانب روسيا الشيوعين الطاجيك في السيطرة على الحكم أواخر عام 1992 وإخراج الإسلاميين من العاصمة دوشنبه، غير أن مساعدة طشقند التي جاءت حينها خوفا من تنامي قوة الإسلاميين لم تقف دون الخلافات الحادة نظرا لتحول طاجيكستان إلى منطقة نفوذ روسية في المنطقة .

التكوين الاثني في كازاخستان:

وفقًا لتعداد عام 2019، فإن التركيب الاثنوغرافي لكازاخستان هو تقريبًا: 63.1٪ كازاخستان، 23.7٪ روسي، 2.9٪ أوزبكي، 2.1٪ أوكراني، 1.4٪ أويغور، 1.3٪ تتار، 1.1٪ ألماني، 1٪ قيرغيز، 1 >٪ الكورية، التركية، الأذربيجانية، البيلاروسية، دونجان، الكردية، الطاجيكية، البولندية، الشيشانية. (2)

التكوين الاثني في قرغيزيا:

يبلغ عدد سكان قرغيزيا 5 ملايين نسمة منهم 57٪ قرغيز و5.5٪ اوزبك (أكثرهم في الجنوب)، 0.9٪ منهم روس (أكثرهم في الشمال). إلى جانب أقلية من التتار. الشمال أغنى من الجنوب. وبسبب المجاعات والاضطهاد الذي تعرضوا له قبل الحرب العالمية الثانية.

المجموعات العرقية في قرغيزيا

- 64.9٪ قرغيز
- 13.8٪ أوزبك
- 12.5٪ روس
- 1.1٪ دونغان
- 1٪ أوغور
- 1٪ أوكرانيون
- عرقيات أخرى 5.7٪

وقد دخلت أعداد كبيرة من اللاجئين الطاجيك إلى قرغيزستان في التسعينيات. كما تتركز الأقلية الأوزبكية حول مدينة أوش في الجنوب الغربي، والروس في بشكيك وقريبا من إقليم تشو. (3)

التكوين الاثني في أوزبكستان:

ينتمي سكان أوزبكستان إلى مجموعة من العناصر أبرزها الأوزبك ويشكلون أغلبية سكانها حوالي 68 بالمائة ونسبة 5٪ من التتار وحوالي 4٪ 2.5٪ من القراقل وباك. يشكل الروس 10٪ من سكان أوزبكستان. وقد زادت نسبة المسلمين عن نسبتهم في سنة 1391 هـ فكانت 84٪ فأصبحت 88٪ وهذا يرجع إلى ارتفاع نسبة التكاثر بين

المسلمين وبلغ عدد المسلمين بها في الآونة الأخيره 14.874.440 نسمة ويكون الأوزبك منهم حوالي 9 مليون نسمة وهولاء من جملة الأوزبك في الاتحاد السوفياتي السابق 10.746.000 نسمة.ومنهم نصف مليون يعيشون في أفغانستان. .

وينتمي معظم الأوزبك إلى العنصر التركي الذي تغلب عليه الصفات المغولية وإلى تفرعاته العرقية الثلاثة المختلفة: السارت والكورما والكارلوك. ويشترك الأوزبك مع الطاجيك والكازاخ بصفات أنتروبولوجية كثيرة. واللغة الأوزبكية ذات لهجات كثيرة وهي من الأسرة اللغوية التركية (الفرع الغربي)، وتؤكد التنوع السلالي وعدم التجانس الأنتروبولوجي لأوزبكستان.

يتزايد الشعب في أوزبكستان بوتيرة سريعة، ففي عام 1970 كان عدد السكان نحو 11.8مليون نسمة، وصار عددهم عام 1984 أكثر من 16.6مليون نسمة. وقد بلغ معدل الزيادة السنوي 2.4٪ و2.8٪. وفي عام 1997 بلغ عدد سكان أوزبكستان 23.667.000مليون نسمة. ويعيش على أراضي أوزبكستان مايزيد على 100 قومية، وتبلغ نسبة الأوزبك 73.7٪ من المجموع العام للسكان. ولغتهم تركية الأصل. ويدينون جميعاً بالإسلام، وقد نبغ منهم الكثير من العلماء كالبخاري والخوارزمي والرازي وغيرهم. (4)

التكوين الاثني في طاجستان:

يشكل المسلمين أغلبية سكان طاجستان وكانت نسبة المسلمين بها 96٪ وانخفضت هذه النسبة إلى 83٪ بسبب هجرة الروس اليها. كان شعب الطاجيك أكثر الشعوب تناسلاً بالاتحاد السوفياتي.

يشكل الطاجيك الفرس نسبة 58٪ من مجموع السكان ويشكل الاوزبك نسبة 23٪ منهم، و15٪ من الروس والإيرانيين و2.5٪ من التتار واقلية من القرغيز .

تركمانستان

المجموعات العرقية تقديرات 2019م.

- 85٪ تركمان
- 5٪ أوزبك
- 4٪ روس
- 6٪ عرقيات أخرى، وهي مرتبة كما يلي حسب الحجم: التتار الكزاخ والأوكرانيون ثم الأذريون والارمن.

اللغة:

- 72٪ يتحدث التركمانية وهي اللغة الرسمية للبلاد
- 12٪ يتحدث الروسية
- 9٪ يتحدث الأوزبكية
- 7٪ يتحدث لغات أخرى

ومنذ نهاية التسعينيات منعت الحكومة استخدام الروسية، وفي عام 2000 أصدر الرئيس السابق صابر مراد نيازوف أمرا لكافة الجهات الحكومية والتعليم العالي بضرورة التحدث بالتركمانية، وقامت حملة لإلغاء المواد الدراسية غير التركمانية من المعاهد العليا.

الدين:

- 89٪ مسلمون
- 2٪ ديانات أخرى 9٪ مسيحيون (أرثوذكس)

ويبقى ملف الحدود مفتوحا للنقاش بين بعض دول آسيا الوسطى حيث تم رسمها أثناء الحكم الشيوعي في عشرينيات القرن الماضي وتم توزيع القوميات والعرقيات بشكل يخدم مصالح موسكو آنذاك، غير أن هذه الحدود خلقت مشاكل عديدة بين هذه الدول بعد الاستقلال.

لقد وجد الكثير من القوميات نفسه كأقليات عرقية وقومية مهمشة في معظم الأحيان، مثل الأوزبك في قرغيزستان وكزاخستان وتركمانستان وطاجيكستان، والطاجيك في أوزبكستان والقرغيز في أوزبكستان وطاجيكستان خصوصا في مثلث وادي فرغانة حيث تتلاقى حدود الدول الثلاث معا(5).

التكوين الاثني في أذربيجان:

في تعداد عام 2009، كان التّكوين العرقيّ في دولة أذربيجان أكثر من 91٪ من الأذريين، والباقي أقلّيات متنوّعة؛ حيث إنَّ 2٪ من عدد سكان دولة أذربيجان أصلُهم من اللّزجيين، و1.3٪ من عدد سكان دولة أذربيجان من الأرمن (ويعيش جميعهم تقريبًا في منطقة ناغورنيك كاراباخ)، وتُشكِّل الأقلّيّة الروسية ما نسبته 1.3٪، و1.2٪ من تاليش، و0.5٪ من الآفار، و0.4٪ من الأتراك، و0.3٪ من التتّار، ومثلُهم من التّاتيون، و0.25 من الأوكرانيين. (6)

التكوين الاثنوغرافي في منطقة القوقاز : (7)

تعتقد بعض النظريات أن العرق الأبيض أصله من القوقاز. ويقصد به حالياً العرق الذي يمثل السكان الأصليين للقوقاز منذ عصور ما قبل الميلاد، وهم ينقسمون حسب أصولهم إلى:

القوقازيون الشماليون:

ويقطنون القسم الشمالي من القوقاز، و هم:

- الاديغة : بقبائلهم الشابسوغ والقبردى والبجة دوغ والابزاغ وغيرهم وهم اثنا عشرة قبيلة رئيسية.
- الشيشانية : بلهجتي الشيشان والأنغوش وهما لغة واحدة بلهجتين.
- الابخازية: وهي لغة إقليم أبخازيا ومنهم الأباظة.
- الوبيخة : وهي لغة لا يستعملها سوى عدد قليل من الوبيخ الذين استشهد غالبيتهم في الحرب ضد روسيا القيصرية.
- الاوارية : وهي لغة قوقازية داغستانية قديمة الأصل ولها عدة لهجات، وهي تختلف عن اللغة الآفارية التركية الأصل، كما أنها تختلف عن اللغات
- قسم من قبائل الداغستان ومنهم الاوار.

القوقازيون الجنوبيون:

ويقطنون القسم الجنوبي من القوقاز، وهم:

- الاستيون: و لهم الآن جمهوريتان أوسيتيا الشمالية وأوسيتيا الجنوبية.
- الكرج: وهم الجورجيون حالياً.
- الأرمن: وهم في أرمينيا حالياً.



خارطة (22) المجموعات العرقية اللغوية في منطقة القوقاز

التكوين الاثني في جورجيا :

يشكل الجورجيون ما يقرب من 83.8٪ من تعداد سكان جورجيا الحاليين (4.661.473 نسمة) (تقديرات تموز 2006). وهناك عرقيات أخرى منها :الاذريون الذين يشكلون 6.5 ٪ من السكان، والأرمن 5.7 ٪، الروس 1.5 ٪،الأبخاز، والأوسيتيون. كما توجد العديد من المجموعات الصغيرة في البلاد، بما في ذلك الآشوريون والشيشان والصينيون واليهود الجورجيون واليونانيون والقبرطاي والأكراد والتتار والأتراك والأوكرانيون.

تمتلك جورجيا أيضاً تنوعاً لغوياً كبيراً. اللغات المنطوق بها من الأسرة القوقازية الجنوبية هي الجورجية واللاز والمنغرليون، والسفان. تتحدث المجموعات جنوب القوقاز من غير الجورجيين اللغة الجورجية بالإضافة إلى لغاتهم الأصلية في كثير من الأحيان. اللغات الرسمية لجورجيا هي الجورجية والأبخازية في أبخازيا. الجورجية هي اللغة الرسمية للبلاد، ويتحدث بها 71 ٪ من السكان، بينما يتحدث 11٪ بالمنغريلية والسفان و7 ٪ الأرمينية و 6 ٪ الأذرية، و 5 ٪ لغات أخرى.

1. مع بداية التسعينات من القرن الماضي وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي، اشتعلت الصراعات الانفصالية العنيفة في منطقتي الحكم الذاتي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. غادر العديد من الأوسيتيين الذين عاشوا في جورجيا إلى اوسيتيا الشمالية في روسيا. ومن ناحية أخرى، غادر أكثر من 150.000 من الجورجيين أبخازيا بعد اندلاع أعمال العنف في عام 1993. من الأتراك المسخيت الذين أعيد توطينهم قسرا في عام 1944 لم تعد منهم إلى جورجيا سوى نسبة ضئيلة في عام 2008.

2. سجل إحصاء عام 1989 وجود 341.000 نسمة من أصل روسي، أو 6.3٪ من السكان، و 52.000 من الأوكرانيين و 100.000 من اليونانيين في جورجيا. منذ عام 1990، غادر ما يقرب من 1.5 مليون مواطن جورجي البلاد. يستقر حالياً منهم ما لا يقل عن مليون مهاجر شرعي أو غير شرعي في روسيا. يبلغ معدل هجرة جورجيا الصافي -4.54٪ باستثناء المواطنين الجورجيين المغتربين. ورغم ذلك يقطن جورجيا حالياً مهاجرون من كافة صقاع الأرض منذ فترة استقلالها. وفقاً لإحصاءات عام 2006، فإن أغلب المهاجرين إلى جورجيا هم من تركيا وجمهورية الصين الشعبية.

3. يعتنق معظم السكان اليوم المسيحية الأرثوذكسية من الكنيسة الأرثوذكسية الجورجية (81.9 ٪). تشمل الأقليات الدينية: الإسلام (9.9 ٪)، الأرمنية الرسولية (3.9 ٪)، الكنيسة الأرثوذكسية الروسية (2.0 ٪)، كاثوليك (0.8 ٪). كما أن نسبة 0.8 ٪ من تعداد عام 2002 أعلنوا عن أتباع أديان أخرى و 0.7 ٪ لا دين على الإطلاق. (8)

التكوين الاثني في أرمينيا:

يوجد القليل من المجموعات العرقية فى أرمينيا حيث يشكل الأرمن 97٪ من إجمالى عدد سكان أرمينيا واليزيديون بنسبة 1.5٪، بينما يرجع اصول باقى السكان الى عرقيات روسية وبعض من المهاجرين البولنديين والالمان.

اللغة:

تعتبر اللغة الأرمنية هى اللغة الرسمية فى البلاد ولكن اغلب السكان يتحدثون اللغة الروسية بشكل كبير فى كافة المصالح الحكومية والمؤسسات التعليمية، ولذلك اعتبرت هى اللغة الثانية، ويتعلم 94 ٪ من الطلاب اللغة الروسية بطلاقة لاعتقادهم بانها ذات اهمية كبيرة فى الحصول على وظيفة.

الديانة:

الديانـة المسـيحية هـى الديانـة الرسـمية فـى البـلاد حيـث إن أرمينيـا هـى الدولـة الأولـى فـى العالـم التـى اعتبـرت المسـيحية الديـن الرسـمي فـى البـلاد ويعتنـق المسـيحية 94 ٪ مـن عـدد سـكان أرمينيـا، ويعتنـق 3 ٪ مـن السـكان الديـن الإسـلامي علـى المذهـب السـنى ويعيشـون فـى غـرب البـلاد، وهنـاك بعـض مـن المجموعـات اليهوديـة التـى بلـغ عددهـا 750 نسـمة وتوجـد معابـد يهوديـة فـى العاصمـة (9).

الفصـل الرابـع

الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية آسيا الوسطى والقوقاز

الفصل الرابع

الأهمية الستراتيجية والاقتصادية لآسيا الوسطى والقوقاز

الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية:

تمتاز هذه المنطقة بأهمية جيوستراتيجية من خلال موقعها الجغرافي ومواردها المهمة. فهي تشاطىء بحر قزوين الغني بالموارد من جهة، وتشكل من جهة أخرى عقدة طرق برية وتمديدات انابيب الغاز والنفط من الشرق الأوسط وقزوين باتجاه الصين او منها باتجاه البحر الاسود وتركيا والبحر المتوسط الى اوربا، يضاف إلى ذلك غنى هذه المنطقة بالنفط والماء والمعادن الثمينة.

بعد تقسيم المنطقة إلى خمس جمهوريات اتحادية في إطار الاتحاد السوفييتي خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، إلى جانب أذربيجان، وعقب تفكك الاتحاد السوفييتي استقلت الجمهوريات الست تباعاً عام 1991، وانضمت في العام نفسه إلى كومنولث الدول المستقلة.

تقع «آسيا الوسطى» في موقع القلب مما أسماه عالم الجيبولتيكس البريطاني ماكيندر، (بجزيرة العالم) التي تتيح لمن يسيطر عليها السيطرة على العالم، وهي على اتصال بما يطلق عليها في أدبيات السياسة الدولية قارة أوراسيا.

وإضافة إلى أهمية الموقع تتوافر في هذه المنطقة الموارد الطبيعية والاقتصادية ذات القيمة النسبية المرتفعة بالنسبة لعناصر القوة الاستراتيجية من نفط، وغاز، ويورانيوم، ومعادن، ومياه، وغيرها، ومن ثم كانت هذه المنطقة محلاً للصراع بين القوى الدولية الكبرى عبر العديد من المراحل التاريخية السابقة، كالصراع الذي جرى بين الامبراطورية البريطانية، والامبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر، والذي أطلق عليه اللعبة الكبرى، وها هي المنطقة تعود من جديد لتكون محلاً للصراع بين القوى الكبرى المعاصرة في هذه المرحلة، وإن غابت قليلاً عن الواجهة الإعلامية التي ركّزت أضواءها على المنطقة العربية التي تتعرض لهجوم الفوضى، بذرائع الإرهاب والحرب عليه!. (1)

تكمن أهمية منطقة آسيا الوسطى باعتبارها تمثل المتغير الجيو ـ سياسي اللازم الذي

يمثل مفتاح السيطرة على العالم، فالتمركز في آسيا الوسطى يتيح الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال. والعمق الحيوي الصيني باتجاه الشرق، علاوة على العمق الحيوي لشبه القارة الهندية باتجاه الجنوب والعمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي. والعمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغرب، علاوة على أن السيطرة على موارد آسيا الوسطي تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز والمعادن والموارد الزراعية إلى روسيا والصين وشبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوربي.

والسيطرة على ممرات آسيا الوسطى تتيح السيطرة على الممرات البرية والجوية التي تربط بين شبه القارة الهندية وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات التي تتيح ضبط التفاعلات والعلاقات البينية التي تربط بين الأقاليم المحيطة بمنطقة آسيا الوسطى (2).

كما تمتع المنطقة باحتياطيات نفطية كبيرة، اذ تمتلك كازاخستان قدرات وطاقات علمية كبيرة. وكانت واحدة من أكثر الجمهوريات السوفيتية تقدما من الناحية العلمية. كما يوجد بصحراوات كازاخستان محطة بايكونور الفضائية الشهيرة، وهي مركز إطلاق سفن الفضاء وتجارب الصواريخ وما تزال روسيا تستأجرها وتستخدمها لنفس الأغراض حتى الآن.

و تتمتع أوزبكستان بثروات طبيعية كبيرة من الذهب والفضة واليورانيوم والنحاس والزنك، فضلا عن الغاز الطبيعي والنفط والفحم وغيرها، وهي تعتبر سادسة دول العالم في إنتاج الذهب ورابعتها من حيث احتياطيات الخام الفضي، ومعروف أن لديها القدرة على تخصيب اليورانيوم، و تمتلك طاجيكستان مناجم كبيرة من اليورانيوم تم اكتشافها في الثلاثينيات، وقرغيزستان ترقد على مناجم هائلة من الذهب(3)

وتخبئ سلاسل الجبال الممتدَّة على مساحات شاسعة، والتي تتمتَّع بقمم شاهقة ثروات ضخمة من المعادن؛ كما أن سهولها ووديانها خصبة وغنيَّة بالإنتاج الزراعي الوفير، لكن أيًّا ما كان الحديث عن ثروات آسيا الوسطى والقوقاز، فإن الثروات النفطيَّة المخبوءة تحت سطح بحر قزوين تُطغى دائما على أي حديث آخر(4).

ولقد اعتبر بحر قزوين بحرًا سوفيتيًا إيرانيًا منذ 1920 وحتى عام 1970، وفي عام 1970 قامت وزارة النفط السوفيتية بتقسيم "القطاع السوفيتي" لبحر قزوين إلى قطاعات بين جمهوريات روسيا السوفيتية، أذربيجان وتركماستان وكازاخستان، وفي هذه الأثناء اتخذ خط التوسيط البحري أساسًا للتقسيم، وهو الأسلوب الشائع اتباعه

في الممارسات الدولية عند تعيين الحدود على البحار الدولية، ومنذ ذلك التاريخ صارت لكل جمهورية من الجمهوريات السوفيتية الأربع المطلة على قزوين قطاع على هذا البحر، ذلك القطاع الذي أصبح بعد تحول الحدود الإدارية إلى حدود دولية بسقوط الاتحاد السوفيتي قطاعا يخص هذه الدول المستقلة (5).

ويعد تصميم الحدود بين جمهوريات آسيا الوسطى أحد أهم أسباب التوترات الأمنية، حيث لم يُراع التكوينات الاجتماعية وتجانسها، مما تسبب في حركات انفصالية وعدم استقرار لهذه الدول الجديدة، فهناك على سبيل المثال أكثر من مليون طاجيكي يقيمون في أوزبكستان، ومليون أوزبيكي يعيشون على الجانب الآخر في طاجيكستان، كما أن لدى تركما نستان مشكلات مع أوزبكستان، حيث دخلت العاصمة التركمانية القديمة خوارزم في زمام الحدود الأوزبكية (6).

ولا تعطي نخب الحكم أولوية لمسألة الديمقراطية، مما يجعل السياسات الخارجية حكرا لقلة مسيطرة ،هذه القلة عادة ما تبحث في الخارج وليس في الداخل عن مظلة حماية سواء كانت لأمن النظام أم لأمن الوطن، كما تبحث أيضا عن مخارج لبيع منتجاتها الأمر الذي يفتح الباب في آسيا الوسطى على مصراعيه أمام الاختراق الخارجي، فهذه المنطقة لا تحكم تفاعلاتها الإقليمية بنفسها إنما تقررها منافسات عالمية كبيرة تتجاوز قدرتها (7).

ولذلك تبقى هذه المنطقة مفتاحاً هاماً، وموطئ قدم استراتيجي لعدد من القوى الدولية والإقليمية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، لاسيما أن عدداً من الدول المتاخمة للمنطقة تمثّل خصوماً أو منافسين لواشنطن، يتعيّن، وفقاً لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي أصدرتها الولايات المتحدة عام 1992، القضاء عليها، أو على الأقل إضعافها حتى لا تمثّل تحدياً للهيمنة والسياسة الأمريكية، وفي مقدمتها إيران، والصين، وروسيا، ومن ثم فإن محاولة الولايات المتحدة التغلغل فيها يمثّل عاملاً هاماً في إضعاف الدول المناوئة، ومحاولة اختراقها جغرافياً، وسياسياً من وجهة النظر الأمريكية.

الاهمية الاقتصادية للمنطقة :

تُقدم آسيا الوسطى مجموعة من الفرص الاقتصادية للقوى الكبرى وكما ياتي :

1. الوصول إلى الموارد الطبيعية الثمينة والتحكم فيها، وشروط التجارة المناسبة، وطرق التجارة الفعّالة. في محاولة لتشكيل المنطقة، تحاول كل من الولايات المتحدة والصين وروسيا تنظيم النظام الدولي على طريقتهم.

2. ارتبا ط المنطقة بشكل أكبر بالمخاطر والمصالح الأمنية، مثل التطرف الإسلامي، لكن ما يتم تجاهله هو دور المنطقة كحلبة معركة اقتصادية استراتيجية.

3. وقوع آسيا الوسطى في مركز مبادرتين جديدتين للتكامل الاقتصادي الإقليمي بين الصين وروسيا تتعارض مع رؤية اقتصادية قديمة للولايات المتحدة.

4. تأسس الاتحاد الاقتصادي الأوربي الاسيوي الروسي (EEU) عام 2015. والذي يتألف من روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وأرمينيا، وهو مصمم على غرار الاتحاد الأوروبي، حيث حرية حركة سلع ورأس المال والعمل والخدمات، والسياسات الاقتصادية والصناعية المشتركة.

5. تم اقتراح مبادرة الحزام - الطريق الصينية (BRI) عام 2013، حيث تهدف لإنشاء شبكة للتجارة والبنية التحتية تربط آسيا مع أوروبا وأفريقيا بطرق تجارية قديمة، مثل طريق الحرير البري والبحري. ومنذ ذلك الحين، وقَّع العديد من دول وسط وجنوب آسيا اتفاقيات تعاون مع الصين للاستثمار في البنية التحتية للطاقة والنقل.

يختلف كل من الاتحاد الاقتصادي الأوروبي الآسيوي الروسي (EEU) ومبادرة الحزام والطريق الصينية (BRI) مع نموذج توافق آراء واشنطن المهيمن على التفكير الاقتصادي في السوق الحرة. يتم الترويج لهذا من قبل المؤسسات المالية المدعومة من قبل الولايات المتحدة، مثل صندوق النقد الدولي. منذ انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991، كانت الإصلاحات النيوليبرالية وصفات اقتصادية قياسية في آسيا الوسطى وأجزاء أخرى من العالم.(8)

وأياً من القوى الكبرى المتصارعة في آسيا الوسطى تستطيع تحقيق نصر حاسم على الطرف أو الأطراف الأخرى، وذلك لعديد من الاعتبارات أبرزها طبيعة علاقات الاعتماد المتبادل التي تحكم التفاعلات الدولية المعاصرة، والتي تضع محددات لنتائج هذه التفاعلات.

بغض النظرعن الخسائر الأميركية الضخمة التي تكبدتها في أفغانستان وفوضى الانسحاب في نهاية شهر اب (أغسطس) من عام 2021 وما تلاه من خسائر في الأرواح، يرى خبراء أن المصالح الاستراتيجية الامريكية ربما ستفرض على إدارة الرئيس الاميركي، جو بايدن، لترتيب الأوراق الأمنية في أفغانستان عبر بوابة دول آسيا الوسطى في المستقبل، لكن هذه المرة ستكون العودة عبر الاستثمار وفتح وتحرير الأسواق وليس عبر القوة العسكرية.

ويرى خبراء أن منطقة آسيا الوسطى ذات موقع جغرافي استراتيجي للأمن القومي الأميركي وذات أهمية قصوى لنجاح خطة الرئيس الأميركي الرامية لاحتواء التمدد التجاري والاقتصادي الصيني وقطع الطريق أمام التنسيق الأمني بين موسكو وبكين.

تمثل كلّا من افغانستان دول آسيا الوسطى التي تشمل إلى جانب كازاخستان وأوزبكستان وقرغيزستان وتركمانستان وطاجيكستان، حلقة ربط رئيسية بين أسواق آسيا وأوروبا وممرا رئيسيا لمشاريع "الحزام والطريق"، كما أنها في ذات الوقت غنية بالموارد الطبيعية خاصة المعادن والنفط والغاز الطبيعي.

وبالتالي يرى الباحث الأميركي بمجلس العلاقات الخارجية الأميركي، جيمس غرانت، أنه "لا غنى للولايات المتحدة عن دخول دول منطقة حوض بحر قزوين وبناء علاقات وطيدة لواشنطن معها" ويقول إن "بناء مركز نفوذ للولايات المتحدة في آسيا الوسطى سيساعد إدارة بايدن لتحقيق أهدافها في أفغانستان دون تدخل عسكري لمحاربة الإرهاب، كما ستكون ذات فائدة قصوى لنجاح الاستراتيجية الأميركية في محاصرة النفوذ الصيني الروسي في آسيا ومحاصرة إيران. ويرى أن "فراغ النفوذ" الذي تركه الانسحاب الأميركي من أفغانستان يمكن تعويضه من خلال دخول أميركا دول آسيا الوسطى عبر التجارة والاستثمار ومشاريع تحديث البنى التحتية وتطوير الأسواق. (9)

وازدياد حدة الاستقطاب بين القوى الكبرى على نحو يشبه، من حيث الشكل، بدايات مرحلة الحرب الباردة، حيث انحازت دول الاتحاد الأوروبي إلى واشنطن، بينما ازدادت قوة التحالف الروسي الصيني مع بروز محورية السيطرة على أوراسيا اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً في إطار هذا الصراع، وفي القلب منه دول آسيا الوسطى، حيث يحظى البعد الاستراتيجي والأمني بأهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع الروسي الأمريكي في المنطقة، في حين يكتسب البعد المتعلق باستغلال الموارد الاقتصادية، واللوجستية لآسيا الوسطى أهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك اتخذ الصراع بين واشنطن وموسكو أنماطاً متعددة، منها النمط الإيجابي الذي يتمثّل في محاولة كل منهما تدعيم علاقاته بدول المنطقة وترسيخها، وصولاً إلى محاولة تكريس النفوذ فيها، والنمط السلبي الذي يدور حول تحجيم تأثير ونفوذ الطرف الآخر، وصولاً إلى محاولة إقصائه عن تفاعلات المنطقة قدر الإمكان.

وأخذ الصراع بين روسيا والاتحاد الأوروبي بشأن إمدادات الطاقة بُعداً استراتيجياً مهماً في سياق التفاعلات بين القوى الكبرى، لأن التوجه الأوروبي يقوم على أساس

تنويع مصادر الطاقة، والتخفيف المستمر من الاعتماد على روسيا في إمداد أوروبا باحتياجاتها من الطاقة، حيث يعتبر المخزون الهائل من النفط، والغاز، والفحم، واليورانيوم، والذهب، والفضة، وباقي المعادن الاستراتيجية أكثر ما يميز المنطقة. فكازاخستان تمتلك ربع احتياطي العالم من اليورانيوم، وتمتلك تركمانستان رابع احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، وتعد أوزبكستان ثالث أكبر منتج للقطن في العالم، وتمتلك رابع أكبر احتياطي عالمي من الذهب، وعاشر احتياطي عالمي من النحاس، إضافة للكميات الضخمة من النفط والغاز في بحر قزوين.

كما يتخذ الصراع بين القوى الكبرى حول النفط والغاز في المنطقة أبعاداً متعددة تبدأ بالتنافس بين شركات هذه القوى للحصول على حقوق اكتشافهما، وإنتاجهما، وتصديرهما، مروراً بضخ استثمارات في القطاعات المختلفة للطاقة، وصولاً لتوفير خطوط الأنابيب اللازمة لنقلها من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك، والملاحظ أن الصراع بين القوى الدولية الكبرى في آسيا الوسطى يدور إضافة لذلك، حول مستقبل النظام الدولي، ففي حين تسعى واشنطن إلى الحفاظ على النظام الدولي القائم، تسعى موسكو وبكين لإعادة تشكيل النظام الدولي ليكون نظاماً متعدد الأقطاب.

ولعل الغاز والنفط والمعادن المشعة، هي أكثر ما يحرّك (الإسرائيليين) بقوة تجاه هذه المنطقة، ويدفعهم للتفكير في كيفية اختراقها والتأثير عليها، والاستفادة منها وحرمان الخصوم والأعداء من فرصة الحصول عليها، خاصة أن إمكانياتها كبيرة، ومخزونها هائل، وأسواقها مفتوحة، وقدرتها على الاستيعاب غير محدودة، وقد سعت إسرائيل لمحاولة تأمين خط جيهان النفطي وتأمين منابع النفط التي تغذى خط الأنابيب الذي يمتد من أذربيجان، ثم جورجيا حتى ميناء جيهان التركي ثم إلى ميناء عسقلان، وينقل النفط الأذربيجاني والكازاخستاني الذي يزودها بما يقارب 40 ٪ من حاجاتها النفطية، وتسعى مستقبلاً لعمل خط أنابيب يصل عسقلان بإيلات على البحر الأحمر، لتصدير النفط من إيلات لدول آسيا كاليابان والهند والصين، لتصبح واحداً من أهم ممرات الطاقة العالمية، مقللة بذلك الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس، ومن الهيمنة الروسية على ممرات النفط، وكذلك إضعاف تأثير روسيا على آسيا الوسطى والقوقاز، وعزل الصين وإيران عن الثروات النفطية لتلك المنطقة.

وكان لمحصلة الصراع الروسي الغربي في مناطق أخرى من العالم تأثيرها في الصراع في هذه المنطقة، حيث أدى إلى تحجيم الخلافات التي كانت قائمة بين روسيا والصين في بعض الأمور المتعلقة بآسيا الوسطى من خلال ما قدمته روسيا من اقتراحات،

وذلك لبناء تحالف روسي صيني في مواجهة الغرب، وامتد هذا إلى تخفيف التشدد الروسي في بعض المسائل المتعلقة ببحر قزوين، وهو ما استفادت منه دول آسيا الوسطى المطلة على هذا البحر، لكن الرد الروسي في أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وجه رسالة قوية إلى دول آسيا الوسطى بأن تدخل الغرب هنا هو تهديد للأمن القومي الروسي.

أفق الصراع بين القوى الكبرى للاستفادة من ستراتيجية المنطقة:

طرحت ثلاث من القوى الكبرى المتصارعة في آسيا الوسطى رؤيتها لآفاق المستقبل بالنسبة لآسيا الوسطى، وهذه القوى هي الصين والولايات المتحدة وروسيا، وفيما يتعلق بالصين تدور رؤيتها الاستراتيجية في إطار مبادرة طريق الحرير الجديد للقرن الحادي والعشرين وهو ما سبق للرئيس الصيني أثناء زيارته لكازاخستان في نوفمبر/ تشرين الأول 2013، فإن هذا الطريق والحزام الاقتصادي المحيط به، سوف يخلقان ممرات تجارية تربط شرق وجنوب شرق آسيا مع باقي آسيا وأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا، ومن ثم فالرؤية الصينية تسعى إلى تحقيق تكامل آسيا الوسطى مع باقي القارة الآسيوية، والمناطق الأخرى من العالم المرتبطة بها، وتشمل هذه الرؤية النقل عبر السكك الحديدية والبر والجو وخطوط الأنابيب البحرية وتوفر الصين تمويلاً بقيمة 40 مليار دولار لهذه المبادرة، إضافة إلى ما يمكن تدبيره من تمويل من مؤسسات التنمية الجديدة مثل البنك الآسيوي لتنمية البنية التحتية، وبنك التنمية الجديد، وتضطلع فيهما الصين بموقع القيادة.

وتحقق هذه المبادرة العديد من الفوائد بالنسبة للصين، منها تشجيع التنمية الاقتصادية وزيادة الصادرات الصينية إلى وسط آسيا، إضافة إلى أن توسيع وزيادة المرور البري يسمح للصين بتنويع قنوات الاستيراد والتصدير، ونزع فتيل الخطر من الممرات البحرية التي ما تزال تسيطر عليها الولايات المتحدة، كما أن الاستثمار في البنية التحتية الجديدة يرسخ النفوذ الاقتصادي والسياسي الصيني.

والملاحظ أن الصين تركز في المرحلة الأولى على الجانب الاقتصادي أملاً في أن تمهد التطورات على المدى البعيد الطريق للقيادة الصينية للتعاون الأمني الآسيوي، وبالنسبة لروسيا ترتبط رؤيتها تجاه آسيا الوسطى بشكل مباشر بالأمن القومي الروسي.

وفيما يتعلق بالرؤية الاستراتيجية الأمريكية فقد جاءت من خلال ما أسمته وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون في خطاب لها عام 2011 بمبادرة "طريق

الحرير" الجديد التي صممت لتحويل أفغانستان ما بعد الحرب إلى مركز للتجارة بين آسيا الوسطى والجنوبية، وهي في هذا تشترك مع الرؤية الصينية من حيث التأكيد على التجارة الشاملة والتكامل العابر للحدود ولكنها تختلف من حيث تشجيعها لتحرير السوق والتعددية السياسية، ولم توفر الولايات المتحدة الدعم السياسي والمالي الكافي لتفعيل هذه المبادرة، كما أن غياب الصين وروسيا عن هذه المبادرة جعلهما يفسرانها، باعتبارها استراتيجية واضحة لإعادة توجيه اقتصادات أفغانستان وآسيا الوسطى بعيداً عن الشركاء الحاليين في الشمال (روسيا) والشرق (الصين).كما كان التراجع الأمريكي في آسيا الوسطى والقوقاز واضحاً بشكلٍ جلي لا لُبْسَ فيه، فالمتتبع للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة منذ بروزها كدول مستقلة مطلع التسعينيات.

والملاحظ أن وزارة الخارجية الأمريكية قد طرحت عام 2015 استراتيجية النهج الأمريكي الذي يقوم على تفضيل دمج آسيا الوسطى في نظام عالمي يقوم على قواعد وخاصة قواعد منظمة التجارة العالمية، كما أنه أقل تركيزاً على محورية أفغانستان، لكن السنوات التي أعقبت ذلك، ولاسيما بعد وصول فلاديمير بوتين إلى سدة السلطة في روسيا، أظهرت رؤية روسية تعمل بقوة لإعادة روسيا إلى مكانتها كقوة عظمى كبرى، وهذا الصعود الروسي والتراجع الأمريكي في ظل إدارة أوباما وتخبط سياساته خففا من حدة الصراع في آسيا الوسطى، وأبعدها عن واجهة الاهتمام الإعلامي، لكن ذلك لا يغير من الأهمية الاستراتيجية للمنطقة .

تكمن أهمية منطقة آسيا الوسطى باعتبارها تمثل المتغير الجيو - سياسي اللازم الذي يمثل مفتاح السيطرة على العالم، فالتمركز في آسيا الوسطى يتيح الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال. والعمق الحيوي الصيني باتجاه الجنوب الشرقي، علاوة على العمق الحيوي لشبه القارة الهندية باتجاه الجنوب والعمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي. والعمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغرب، علاوة على أن السيطرة على موارد آسيا الوسطي تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز والمعادن والموارد الزراعية إلى روسيا والصين وشبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوربي.

والسيطرة على ممرات آسيا الوسطى تتيح السيطرة علي الممرات البرية والجوية التي تربط بين شبه القارة الهندية وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات التي تتيح ضبط التفاعلات والعلاقات البينية التي تربط بين الأقاليم المحيطة بمنطقة آسيا الوسطى. كما تمتع باحتياطيات نفطية تعادل في كميتها تلك الموجودة

في منطقة الخليج[01]، وعلى سبيل المثال تمتلك كازاخستان قدرات وطاقات علمية كبيرة. وكانت واحدة من أكثر الجمهوريات السوفيتية تقدما من الناحية العلمية. كما يوجد بصحراوات كازاخستان محطة بايكونور الفضائية الشهيرة، وهو مركز إطلاق سفن الفضاء وتجارب الصواريخ وأبحاث حرب النجوم في العهد السوفيتي، ولا تزال روسيا تستأجره وتستخدمه لنفس الأغراض حتى الآن.

تتمتع أوزبكستان بثروات طبيعية كبيرة من الذهب والفضة واليورانيوم والنحاس والزنك، فضلا عن الغاز الطبيعي والنفط والفحم وغيرها، وهي تعتبر سادسة دول العالم في إنتاج الذهب ورابعتها من حيث احتياطيات الخام الفضي، ومعروف أن لديها القدرة على تخصيب اليورانيوم، وطاجيكستان تمتلك مناجم كبيرة من اليورانيوم تم اكتشافها في الثلاثينيات، وقرغيزستان ترقد على مناجم هائلة من الذهب[11].

وتخبئ سلاسل الجبال الممتدَّة على مساحات شاسعة، والتي تتمتَّع بقمم شاهقة ثروات ضخمة من المعادن؛ كما أن سهولها ووديانها خصبة وغنيَّة بالإنتاج الزراعي الوفير، لكن أيًّا ما كان الحديث عن ثروات آسيا الوسطى والقوقاز، فإن الثروات النفطيَّة المخبوءة تحت سطح بحر قزوين تُغطي دائما على أي حديث آخر[21]

تتميز ايران جيوبوليتيكيًا بأن حدودها الشمالية تصل إلى بحر قزوين، وتشكل أفضل معبر للنفط إلى الخليج العربي جنوبًا، ومع تفكك الاتحاد السوفيتي وظهور ثلاث دول آسيوية تشاطئ بحر قزوين وتطالب بمياهها الإقليمية فيه، وهي أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان، وفي ضوء عدم استغلال نفط بحر قزوين خلال عهد الاتحاد السوفيتي، حيث اقتصرت المنافع الإيرانية من البحر على الصيد وثروة الكافيار التي درّت على إيران أرباحًا كبيرة، إضافة إلى الثروة النفطية التي خرجت إلى العيان، تصاعدت الأهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة مما حرك التطلعات الإيرانية للقيام بدور رئيس فيها، وبخاصة أن لدى إيران مرافق نفطية متقدمة نسبيًا، فالتطلعات الاستراتيجية الإيرانية الحالية تتركز في أن تصبح هي الناقل الرئيس لنفط بحر قزوين، عبر أراضيها إلى الخليج العربي.

وانطلقت طهران من تصور استراتيجي مؤداه؛ أنها باتت القوة الطبيعية المرشحة للعب دور قيادي في منطقة آسيا الوسطى، فهي تجاور تركمانستان وأذربيجان جغرافيا، كما تعد طهران المنفذ البري الطبيعي لكلتا الدولتين إلى الخليج العربي، ولها صلات ثقافية وحضارية مع طاجكستان، حيث يتحدث شعب طاجكستان اللغة الفارسية ،وعلى الجانب الاقتصادي، كانت الدوافع الاقتصادية أحد أوجه تقارب إيران من

جمهوريـات آسـيا الوسـطى، ويتضـح ذلـك عنـد النظـر في حجـم التبـادل التجـاري بـين إيـران وهـذه الـدول، وركـزت إيـران في هـذا المجـال علـى حزمـة مـن السياسـات المتمثلـة في تقديـم الائتمـان لتنشـيط التجـارة مـع تلـك الـدول، كمـا عمـدت طهـران إلـى الاعتمـاد علـى حزمـة مـن السياسـات التـي صممـت ليـس فقـط لتطويـر وجودهـا الاقتصـادي في آسـيا الوسـطى، ولكـن أيضـا لحرمـان منافسـيها مـن أي فـرص للنجـاح في المنطقـة، وذلـك مـن خـلال بنـاء شـبكة مواصـلات بريـة بـين إيـران وآسـيا الوسـطى، بحيـث يمـر التعامـل التجـاري مـع المنطقـة بالضـرورة عبـر البوابـة الإيرانيـة.

ثروات آسيا الوسطى الطبيعية:

- تمتع المنطقة باحتياطيات نفطية تعادل في كميتها تلك الموجودة في منطقة الخليج
- تعتبـر اوزباكسـتان سادسـة دول العالـم في إنتـاج الذهـب ورابعتهـا من حيـث احتياطيات الخـام الفضـي
- تمتلك طاجيكستان مناجم كبيرة من اليورانيوم تم اكتشافها في الثلاثينات
- تحتوي قرغيزستان مناجم هائلة من الذهب

امـا بالنسـبة الـى تركيـا فقـد غيـرت سياسـتها منـذ مجـيء حـزب العدالـة والتنميـة إلـى السـلطة عـام 2002 مـن نهـج تعاملهـا مـع منطقـة القوقـاز وآسـيا الوسـطى، فعوضـا عـن التنافس والصـراع علـى المصالـح والنفـوذ اتبعـت أنقـره فلسـفة التعـاون والشـراكة، وقدمـت نفسـها علـى أنهـا الدولـة المصـدرة للأمـن والاسـتقرار.

ومنـذ مجـيء حـزب العدالـة والتنميـة والعلاقـات بـين تركيـا وجمهوريـات آسـيا الوسـطى والقوقـاز تشـهد تحسـنا مطـردا.

ولتكتمـل دائـرة تحسـين العلاقـات بـين تركيـا وآسـيا الوسـطى تنتهـج تركيـا عـدة أسـاليب دبلوماسـية واقتصاديـة وأمنيـة لتحقيـق هـذا الهـدف، منهـا تنشـيط «منتـدى الاسـتقرار والتعـاون في القوقـاز» الـذي تم تدشـينه في أعقـاب الاشـتباك المسـلح الـذي نشـب عـام 2008، بـين روسـيا وجورجيـا علـى خلفيـة أوسـيتيا الجنوبيـة. وتطمـح تركيـا فضـلا عـن ذلـك إلـى تنفيـذ فكـرة ربـط بحـر قزويـن بالخليـج مـن خـلال إنشـاء خـط يربـط تركمانسـتان وإيـران وتركيـا، وهـو طمـوح إن تحقـق فإنـه مـن شـأنه أن تكـون لـه تأثيـرات عميقـة علـى المسـتوى الجيوسياسـي في المشـرق بأكملـه.

إن أيـاً مـن القـوى الكبـرى المتصارعـة في آسـيا الوسـطى تسـتطيع تحقيـق نصـر حاسـم

على الطرف أو الأطراف الأخرى، وذلك لعديد من الاعتبارات أبرزها طبيعة علاقات الاعتماد المتبادل التي تحكم التفاعلات الدولية المعاصرة، والتي تضع محددات لنتائج هذه التفاعلات، وازدياد حدة الاستقطاب بين القوى الكبرى على نحو يشبه، من حيث الشكل، بدايات مرحلة الحرب الباردة، حيث انحازت دول الاتحاد الأوروبي إلى واشنطن، بينما ازدادت قوة التحالف الروسي الصيني مع بروز محورية السيطرة على أوراسيا اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً في إطار هذا الصراع، وفي القلب منه دول آسيا الوسطى، حيث يحظى البعد الاستراتيجي والأمني بأهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع الروسي الأمريكي في المنطقة، في حين يكتسب البعد المتعلق باستغلال الموارد الاقتصادية، واللوجستية لآسيا الوسطى أهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك اتخذ الصراع بين واشنطن وموسكو أنماطاً متعددة، منها النمط الإيجابي الذي يتمثّل في محاولة كل منهما تدعيم علاقاته بدول المنطقة وترسيخها، وصولاً إلى محاولة تكريس النفوذ فيها، والنمط السلبي الذي يدور حول تحجيم تأثير ونفوذ الطرف الآخر، وصولاً إلى محاولة إقصائه عن تفاعلات المنطقة قدر الإمكان، وأخذ الصراع بين روسيا والاتحاد الأوروبي بشأن إمدادات الطاقة بُعداً استراتيجياً مهماً في سياق التفاعلات بين القوى الكبرى، لأن التوجه الأوروبي يقوم على أساس تنويع مصادر الطاقة، والتخفيف المستمر من الاعتماد على روسيا في إمداد أوروبا باحتياجاتها من الطاقة، حيث يعتبر المخزون الهائل من النفط، والغاز، والفحم، واليورانيوم، والذهب، والفضة، وباقي المعادن الاستراتيجية أكثر ما يميز المنطقة، فكازاخستان تمتلك ربع احتياط العالم من اليورانيوم، وتمتلك تركمانستان رابع احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، وتعد أوزبكستان ثالث أكبر منتج للقطن في العالم، وتمتلك رابع أكبر احتياطي عالمي من الذهب، وعاشر احتياطي عالمي من النحاس، إضافة للكميات الضخمة من النفط والغاز في بحر قزوين.

كما يتخذ الصراع بين القوى الكبرى حول النفط والغاز في المنطقة أبعاداً متعددة تبدأ بالتنافس بين شركات هذه القوى للحصول على حقوق اكتشافهما، وإنتاجهما، وتصديرهما، مروراً بضخ استثمارات في القطاعات المختلفة للطاقة، وصولاً لتوفير خطوط الأنابيب اللازمة لنقلها من مناطق الإنتاج إلى مناطق الاستهلاك، والملاحظ أن الصراع بين القوى الدولية الكبرى في آسيا الوسطى يدور إضافة لذلك، حول مستقبل النظام الدولي، ففي حين تسعى واشنطن إلى الحفاظ على النظام الدولي القائم، تسعى موسكو وبكين لإعادة تشكيل النظام الدولي ليكون نظاماً متعدد الأقطاب وهذا

الأمر لا يقتصر على هذه المنطقة وحدها، فالأزمة في سورية تعكس وجهاً واضحاً للصراع حول الشكل الذي سيأخذه النظام الدولي في المستقبل.

وتمتلك أذربيجان خطوط أنابيب متطورة. إلى جانب خطوط الأنابيب الحالية التي تصل إلى روسيا وجورجيا وتركيا إيران، يجري تنفيذ مشروع الممر الجنوبي للغاز. وتسعى أذربيجان لاستخدام هذه البنية التحتية بشكل فعَّال ليس فقط من قِبل أذربيجان، ولكن أيضًا في بلدان أخرى.

ومن المهم ملاحظة أن العديد من طرق النقل الدولية، بما في ذلك باكو-تبليسي-جيهان، وباكو-سوبسا، وأنابيب النفط باكو-نوفوروسيسك، وباكو-تفليس-أرضروم، وأذربيجان وجورجيا وأذربيجان وإيران، وأنابيب الغاز بين أذربيجان وروسيا تنطلق أساسًا من أذربيجان.

تُعتبر أذربيجان الدولة الغنية بالطاقة، بالنسبة لطهران طريقًا مناسبة لنقل موارد إيران الهائلة من الغاز الطبيعي للسوق الأوروبية. ويحتم الموقع الجغرافي لإيران إيصال ثروتها من الغاز إلى أوروبا عبر انابيب تمر في تركيا أو أذربيجان(13).

وإذا سارت الأمور دون عراقيل فإن مشروع TANAP، سيتم لاحقًا ربطه بـ TAP، ويمكن أن يصبح طريقًا يمكن الاعتماد عليه لتوريد الغاز الإيراني إلى أوروبا. وبانضمامها إلى مشروع TANAP فمن المؤكد أن تعزِّز إيران من موقف أذربيجان الإقليمي كبلد عبور. ولن يعود ذلك بالمنافع الاقتصادية فقط، ولكنه أيضًا يحمل مكاسب سياسية من شأنها أن تكون أكثر أهمية من ذلك بكثير (14).

ويرمي مشروع الممر الجنوبي للغاز الى نقل الغاز المستخرَج من حقل شاه دنيز العملاق في القسم الأذربيجاني من بحر قزوين. وينجز مشروع شاه دنيز 2 في المرحلة الثانية الغاز رحلة 3500 كيلو متر من بحر قزوين إلى أوروبا؛ وهذا يتطلب تطوير البنية التحتية القائمة وتطوير سلسلة من خطوط أنابيب جديدة.

وسيتم توسيع خط أنابيب نطاق جنوب القوقاز القائم مع خطوط أنابيب موازية جديدة عبر أذربيجان-جورجيا، في حين أن خط الأنابيب عبر الأناضول سينقل غاز شاه دنيز عبر تركيا ليلتقي بخط أنابيب عبر البحر الأدرياتيكي، موصِّلاً الغاز عبر اليونان وألبانيا إلى إيطاليا(16). ومن المتوقع أن تصل أولى إمدادات الغاز من خلال الممر إلى جورجيا وتركيا من أواخر عام 2018. أمَّا شحنات الغاز إلى أوروبا فمن المتوقع أن تبدأ في الوصول عقب سنة من بدء إنتاج الغاز في أذربيجان. وقد تم تصميم

نظام خطوط الأنابيب في الممر الجنوبي للغاز بطريقة تجعلها قابلة للتطوير وتعظيم مقدرتها لمرتين لاستيعاب إمدادات إضافية من الغاز في المستقبل.

وكان لمحصلة الصراع الروسي الغربي في مناطق أخرى من العالم تأثيرها في الصراع في هذه المنطقة، حيث أدى إلى تحجيم الخلافات التي كانت قائمة بين روسيا والصين في بعض الأمور المتعلقة بآسيا الوسطى من خلال ما قدمته روسيا من اقتراحات، وذلك لبناء تحالف روسي صيني في مواجهة الغرب، وامتد هذا إلى تخفيف التشدد الروسي في بعض المسائل المتعلقة ببحر قزوين.

الفصل الخامس

الصراع الدولي على آسيا الوسطى والقوقاز

الفصل الخامس

الصراع الدولي على آسيا الوسطى والقوقاز

تتبدى أهمية هذه المنطقة في التفاعلات بين القوى الدولية الكبرى، سواء على المستوى الثنائي، أو متعدد الأطراف، اذ لا يمكن القول: إن أياً من القوى الكبرى المتصارعة في آسيا الوسطى تستطيع تحقيق نصر حاسم على الطرف أو الأطراف الأخرى، وذلك لعديد من الاعتبارات أبرزها طبيعة علاقات الاعتماد المتبادل التي تحكم التفاعلات الدولية المعاصرة، والتي تضع محددات لنتائج هذه التفاعلات، وازدياد حدة الاستقطاب بين القوى الكبرى على نحو يشبه، من حيث الشكل، بدايات مرحلة الحرب الباردة.

حيث انحازت دول الاتحاد الأوروبي إلى واشنطن، بينما ازدادت قوة التحالف الروسي الصيني مع بروز محورية السيطرة على اسيا الوسطى اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً في إطار هذا الصراع، حيث يحظى البعد الاستراتيجي والأمني بأهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع الروسي الأمريكي في المنطقة، في حين يكتسب البعد المتعلق باستغلال الموارد الاقتصادية، واللوجستية لآسيا الوسطى أهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية.

طرحت القوى العظمى و الكبرى المتصارعة في آسيا الوسطى رؤيتها لآفاق المستقبل بالنسبة لآسيا الوسطى، وهذه القوى هي الصين والولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الاوربي وتركيا وايران والكيان الصهيوني وحلف الناتو .

1- الصين:

تعتبر الصين من أوائل الدول التي اعترفت بدول آسيا الوسطى بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي السابق، وأقامت معها علاقات دبلوماسية قوية وتبادلت معها الزيارات الرسمية،، حيث تحركت بكين لإيجاد إطار رسمي يربطها بالمنطقة، فجاءت فكرة منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي بالتعاون مع روسيا وكل من كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان، والتي انضمت إليها أوزبكستان عام 2001 (وسيتم تفصيل ذلك في مكان اخر من هذا الفصل)، وكان واضحا أن بكين تستغل نفوذ روسيا للتحرك نحو آسيا الوسطى في حين كانت موسكو تبحث عن حليف قوي في آسيا لوقف الزحف الأوربي – الأمريكي نحو مناطق نفوذها[1].

وفي ظل حاجة الصين الملحة للطاقة بشكل متزايد وارتفاع أسعار النفط والغاز، كان على بكين البحث عن بدائل رخيصة وأكثر أمانا تلبي احتياجاتها. ومن هنا برزت أمامها مصادر الطاقة في آسيا الوسطى التي هي قريبة منها ليتحقق لها هذا الحلم، غير أن الأمر يحتاج لمزيد من المقايضات مع روسيا التي تتخوف من أن الصين تزاحمها في السيطرة على خطوط نقل النفط والغاز. وفي نفس الوقت تشكل آسيا الوسطى سوقا استهلاكيا رائجا للسلع الصينية، ومعظم واردات الصين من آسيا الوسطى هي المواد الخام التي تفتقر إليها الصين، وتصدر الصين السلع الاستهلاكية لهذه الدول، وقد لعبت الاستثمارات الصينية في آسيا الوسطى دورًا في حل ما تعاني منه هذه الدول من نقص رؤوس الأموال.

وبالنسبة للصين فآسيا الوسطى هي معبر لا يمكن الاستغناء عنه الى اوربا ومنطقة غرب آسيا فهي شريان مواصلاتها، وخلافًا لأهداف الدول الأخرى في آسيا الوسطى فإن الصين لا تسعى إلى الوجود العسكري فيها، وإنما النظر إليها على أنها مناطق نفوذ لها بل تأمل في التعاون الاقتصادي واستتباب الاستقرار في هذه الدول بما ينعكس على الأمن القومي الصيني.

وفي عام 1999 أبرمت الصين سلسلة من الاتفاقيات لإعادة رسم الحدود المشتركة مع دول المنطقة[2]، وتعتبر الصين ثاني أكبر شريك تجاري مع كازاخستان وقيرغزستان، وتزخر آسيا الوسطى حاليا بمئات المشاريع الكبيرة والصغيرة التي ينفذها الصينيون في مجالات متعددة أهمها:

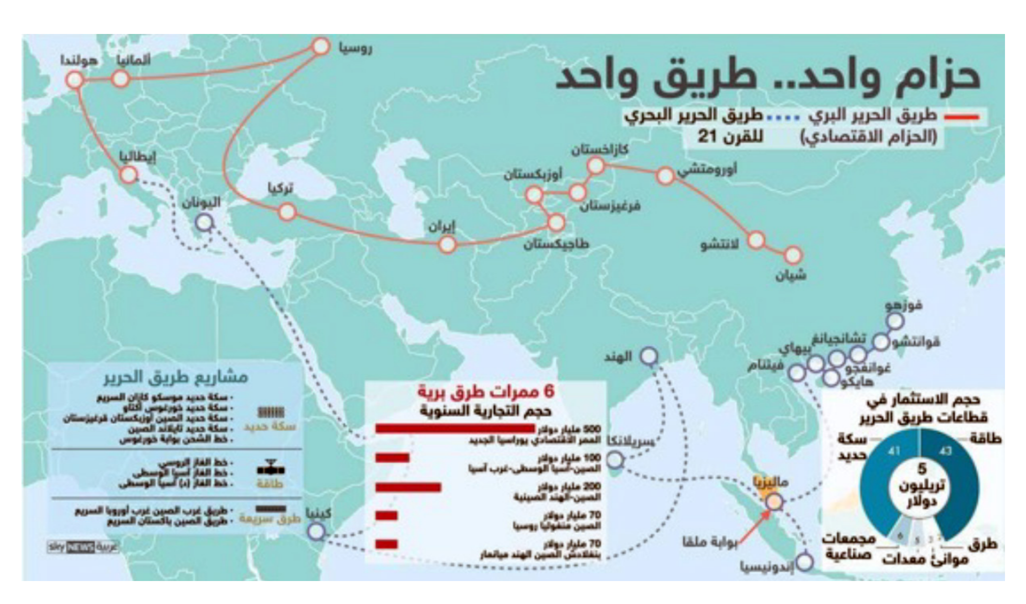
التنقيب وبناء خطوط أنابيب نقل الطاقة، وبناء الطرق وسكك الحديد، كما توجد اتفاقيات مبدئية مع كل من أوزبكستان وإيران حول مشاريع نقل الغاز إلى الصين أو حتى الدول الأخرى مثل مشروع نقل الغاز التركماني عبر أفغانستان إلى باكستان والهند.

ورغم هذه الدوافع الاقتصادية للتحرك الصيني نحو آسيا الوسطى، فإن الجوانب السياسية والأمنية لهذا التحرك لا يمكن إغفالها.

أمنيا استطاعت بكين أن تقنع دول آسيا الوسطى لممارسة ضغط على ناشطي المعارضة الإيغورية الذين يكافحون من أجل حريات أكثر في إقليم شينغ يانغ (تركستان الشرقية) ذو الغالبية المسلمة والتي بقيت تنشط في آسيا الوسطى، مما أثار غضب الكثير من المؤسسات العاملة في مجال حقوق الإنسان.

كما أن التغلغل الاقتصادي الصيني ساعد على تحجيم النفوذ الأمريكي في آسيا الوسطى، كما تمثل في إغلاق القاعدة الأمريكية في أوزبكستان عام 2006 وكذلك مراجعة عقد إيجار القاعدة الأمريكية في قرغيزستان، ثم الدعوة الرسمية لمنظمة شنغهاي في 2006 لإغلاق القواعد الأمريكية في آسيا الوسطي. ومن جهتها نجحت منظمة شنغهاي في استقطاب دول آسيا الوسطى بشكل كبير ضد التوجهات الغربية التي تسعى لفرض أجندتها على الأنظمة التي لا تريد الخضوع لضغوط الغرب فيما يتعلق بملفات حقوق الإنسان والديمقراطية، فكثيرا ما يعلن زعماء آسيا الوسطى تصريحاتهم ضد الانتقادات الغربية والأمريكية من العاصمة الصينية بكين[3]

تدور رؤية الصين الاستراتيجية في إطار مبادرة طريق الحرير الجديد للقرن الحادي والعشرين وهو ما سبق للرئيس الصيني أثناء زيارته لكازاخستان في نوفمبر/تشرين الأول 2013، فإن هذا الطريق والحزام الاقتصادي المحيط به، سوف يخلقان ممرات تجارية تربط شرق وجنوب شرق آسيا مع باقي آسيا وأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا. (4)



خارطة (23) خارطة الحزام- الطريق الصيني

ومن ثم فالرؤية الصينية تسعى إلى تحقيق تكامل آسيا الوسطى مع باقي القارة الآسيوية، والمناطق الأخرى من العالم المرتبطة بها، وتشمل هذه الرؤية النقل عبر السكك الحديدية والبر والجو وخطوط الأنابيب البحرية وتوفر الصين تمويلاً بقيمة

40 مليار دولار لهذه المبادرة، إضافة إلى ما يمكن تدبيره من تمويل من مؤسسات التنمية الجديدة مثل البنك الآسيوي لتنمية البنية التحتية، وبنك التنمية الجديد، وتضطلع فيهما الصين بموقع القيادة.

وتحقق هذه المبادرة العديد من الفوائد بالنسبة للصين، منها تشجيع التنمية الاقتصادية وزيادة الصادرات الصينية إلى وسط آسيا، إضافة إلى أن توسيع وزيادة المرور البري يسمح للصين بتنويع قنوات الاستيراد والتصدير، ونزع فتيل الخطر من الممرات البحرية التي لا تزال تسيطر عليها الولايات المتحدة، كما أن الاستثمار في البنية التحتية الجديدة يرسخ النفوذ الاقتصادي والسياسي الصيني.والملاحظ أن الصين تركز في المرحلة الأولى على الجانب الاقتصادي أملاً في أن تمهد التطورات على المدى البعيد الطريق للقيادة الصينية للتعاون الأمني الآسيوي.

2- الولايات المتحدة الأمريكية:

نشطت الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي في التقرب من جمهوريات القوقاز وآسيا الوسطى، وسعت إلى توطيد علاقاتها السياسية والاقتصادية معها، والعمل على إرساء نظم حكم صديقة لها في هذه الجمهوريات لتأمين مصالحها النفطية في المنطقة. ومع وقوع أحداث 11 سبتمبر عام 2001، وبدء الحملة الأمريكية ضد ما يسمى بالإرهاب بدأت واشنطن في تدعيم وجودها العسكري في المنطقة، وقامت بتوقيع عدد من الاتفاقيات لإقامة قواعد عسكرية في بعض الجمهوريات، ومنها قيرغيزستان، وأوزبكستان، لاستخدامها في حربها ضد طالبان والقاعدة في أفغانستان، ولتدعيم النفوذ والحضور الأمريكي في المنطقة، بما يتيح إقامة العديد من مشاريع النفط والغاز التي تؤمن الاحتياجات الأمريكية من الطاقة[5].

وقد حظي خط أنابيب باكو ـ جيهان باهتمام بالغ من جانب الولايات المتحدة التي اعتبرته طوق النجاة للهروب من الاعتماد الغربي المطلق على النفط الخليجي، وإنهاء للسيطرة الروسية الطويلة على إمدادات النفط القادم من بحر قزوين، وبالتالي إضعاف نفوذها الاقتصادي والسياسي. ولهذا مارست العديد من الضغوط على الدول والشركات المساهمة للإسراع في تنفيذ الأنبوب، وخط أنابيب "باكو ـ جيهان"أطلق عليه "مشروع القرن"، ويبدأ أنبوب النفط العملاق مسيرته بالقرب من العاصمة باكو على ساحل بحر قزوين، مارًا بمنتصف أذربيجان من الشرق إلي الغرب، ثمّ يقطّع جورجيا في منتصفها تقريبًا من الشرق إلي الغرب، قبل أن يتجه جنوبًا ليشق جبال الأناضول التركية بشكل مائل من ناحية الشمال الشرقي نحو الجنوب إلى مدينة جيهان على

ساحل البحر المتوسط وقد بدأ العمل في هذا المشروع عام 2002 بعد أربع سنوات من الخلافات بشأنه، بسبب تخوف دول أوربا والقوقاز من آثاره البيئية، واعتراضات البنك الدولي أيضًا على إنشائه، فضلًا عما أثارته العديد من الشركات المساهمة من مخاوف من التأثيرات السلبية للاضطرابات في كل من أذربيجان وجورجيا على سير المشروع، إضافة إلى ما تعانيه تركيا من قلاقل بسبب الأقلية الكردية التي تحاول إقامة دولة مستقلة لها[6].



خارطة (24) خط انابيب نقل الغاز من أذربيجان الى اوربا عبر تركيا



خريطة (25) توضح خط أنابيب باكو تبليسي جيهان وخط أنابيب جنوب القوقاز.

لقد وفرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر للإدارة الأمريكية حافزا إضافيا لتشديد قبضتها على المناطق النفطية، وترى الإدارة الأمريكية أن خريطة ما تسميه "ملاذات الإرهاب" أو ما تطلق عليه "الدول المارقة" قد تكون هي نفسها خريطة موارد الطاقة الرئيسية في العالم، وقد تم تصنيف أفغانستان، بأنها في غاية الأهمية، ففي أراضيها تمر الخطوط المحتملة لصادرات النفط والغاز من آسيا الوسطى إلى بحر العرب[7]، وأقامت وزارة الدفاع الأمريكية علاقات مع القوات المسلحة في كل من أذربيجان وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان، وبدأت في تأمين السلاح والتدريب لتلك القوات.

وفضلًا عن ذلك فإن الولايات المتحدة ترتبط بالعديد من الاتفاقيات مع هذه البلدان، تتيح لها استخدام مجالها الجوي والهبوط الاضطراري للتزود بالوقود[8]. فضلًا عن حصار إيران من الشمال والشرق، تمهيدًا لإخضاعها للسيطرة الأمريكية، ومنع تسرب التكنولوجيا والمواد والخبرات النووية، وكذلك تكنولوجيا الصواريخ وغيرها من الأسلحة التقليدية أو فوق التقليدية المتطورة الموروثة عن العهد السوفيتي من دول آسيا الوسطى.

كان التراجع الأمريكي في آسيا الوسطى والقوقاز واضحاً بشكلٍ جلي لا لُبْسَ فيه، فالمتتبع للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة منذ بروزها كدول مستقلة مطلع التسعينيات يرى أنه على الرغم من أن خطاب أوباما خلا من إشارة مباشرة لمنطقة آسيا الوسطى والقوقاز. (9)

إلا أن المنطقة تحتل أهمية خاصة بالنسبة للولايات المتحدة لاعتبارات جيوسياسية واستراتيجية واقتصادية، وشهدت السياسة الأمريكية تجاه المنطقة تفعيلاً ملحوظاً في مختلف المجالات على مدى العقدين الماضيين، ووصل التغلغل الأمريكي عسكرياً واقتصادياً فيها حداً غير مسبوق.

الأسس التي تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة لاختراقها والهيمنة عليها:

1. تطوير الديمقراطية.
2. خلق اقتصاد السوق الحرة.
3. احتضان السلم والتعاون بين دول المنطقة.
4. إدماج دول المنطقة في منظومة المجتمع الدولي. وهي استراتيجية ترمي ـ كما نلاحظ ـ إلى صبغ المنطقة بالنموذج الأمريكي سياسيا واقتصاديا وأمنيا، ودمجها

بالكامل ضمن الأطر الثقافية الأمريكية، وهو ما يسهّل انقيادها ووضعها في قاطرة التبعية للهيمنة الأمريكية، خاصة بعد أن انفتح الطريق على مصراعيه امام امريكا عقب حربها في أفغانستان.

ولم تتحرك الولايات المتحدة بمفردها في المنطقة، وإنما حاولت أن تخلق نوعا من التحالف القوي من الدول ذات الصلة والمصلحة هناك. فقد أقامت شراكة في هذا الصدد مع تركيا الطامحة لدور أكبر، وأخذت الكيان الصهيوني تحت معطفها وهي تتحرك هناك. ولهذا فقد دعمت امريكا التطلعات التركية في المنطقة، فساعدت التوجهات التركية لإقامة استثمارات في كل من أذربيجان وتركمانستان، كما دعمتها بقوة لمد جسور ثقافية وإقامة علاقات اقتصادية وسياسية شاملة مع دول المنطقة ذات العلاقات التاريخية مع تركيا وذلك تحت لواء النموذج العلماني لمقاومة النموذج الإيراني من جانب، وضد المشروع الإسلامي المتنامي الذي تحمله الحركات الإسلامية في المنطقة.

وقد حرصت الولايات المتحدة في التعامل مع روسيا منذ سقوط الاتحاد السوفييتي، على ألا يكون الصراع عنيفا، وإنما فضّلت منهج الاحتواء والمساومة وليس الاستفزاز والصدام ولذلك ظل الموقف الأمريكي والغربي عموما يضع ما تقوم به روسيا ضد الشيشان في خانة الشأن الداخلي الروسي الذي لا يجوز التدخل فيه. وكان الثمن الذي دفعته روسيا نظير هذا الدعم الغربي لها في الشيشان هو ترحيبها بالهجمة الاقتصادية من رجال المال والأعمال والشركات الغربية على المنطقة. (10)

غير انه في السنوات الاخيرة من حكم الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين بدأ الأمريكيون يتحدثون صراحة عن أن آسيا الوسطي والقوقاز - وفي القلب منها بحر قزوين - منطقة لمصالحهم ويلخص رجل الأعمال والصناعة الأوروبي لكفرد نوبل - الذي حقق ثروة طائلة من نفط «قزوين» عبر أذربيجان - المسألة قائلا:

في هذه المنطقة هناك تشابك واضح بين النفط والسياسة والدم.

ومع نمو الحركة الأصولية ثم اشتعال الحرب الأهلية في طاجيكستان، ثم مع صعود طالبان، ودعمها لبعض الحركات المتطرفة في بلدان آسيا الوسطى، بدأت الأنظمة العلمانية في تلك البلدان تنظر الى الأصولية الاسلامية باعتبارها أكبر خطر يهددها. وكانت اسرائيل جاهزة ومعها الجماعات الصهيونية ذات النفوذ القوي في دول الاتحاد السوفييتي السابق وهكذا بدأ التعاون المخابراتي لمكافحة «الارهاب الاسلامي» بين

اسـرائيل ودول آسـيا الوسـطى ومعهـا أذربيجـان في القوقـاز. والملاحـظ أن وزارة الخـارجيـة الأمريكيـة قـد طرحـت عـام 2015 اسـتراتيجية النهـج الأمريكـي الـذي يقـوم علـى تفضيـل دمـج آسـيا الوسـطى في نظـام عالمـي يقـوم علـى قواعـد وخاصـة قواعـد منظمـة التجـارة العالميـة، كمـا أنـه أقـل تركيـزاً علـى محوريـة أفغانسـتان. [11]

3- روسيا:

تعتبـر روسـيا آسـيا الوسـطى المجـال الحيـوي لهـا والمحـور الأسـاسـي لنفوذهـا، وتقـوم روسـيا بالدفـاع عـن مصالـح المواطنـين الـروس المنتشـرين في دول آسـيا الوسـطى، ويمثلـون نسـبة يُعتـد بهـا مـن سـكان هـذه الـدول مثـل كازاخسـتان الذيـن يمثلـون 23.7٪ مـن السـكان، وفي كل مـن قيرغيسـتان وتركمانسـتان يمثلـون 12.5 ٪ وفي أوزباكسـتان يمثلـون 5.5 ٪ (). ومنـذ انهيـار الاتحـاد وروسـيا تسـعى للحفـاظ علـى مركزهـا كقـوة عظمـى، وتسـتهدف السياسـة الروسـية الخارجيـة بشـكل أسـاسـي جمهوريـات آسـيا الوسـطى.

وتعتبر روسـيا حدود تلك الدول حدودًا أمنية لها، ولاسـيما من جهة جمهورية طاجكسـتان التـي يوجـد فيهـا عـدد كبيـر مـن القـوات الروسـية علـى الحـدود مـع أفغانسـتان، ممـا دفـع الكرملـين إلـى تضخيـم الأخطـار التـي تواجـه أمـن آسـيا الوسـطى مـن "جماعـات إرهابيـة"، واحتمـال نشـوب حـروب وصراعـات علـى السـلطة في بعـض دولهـا، وأن دولاً أجنبيـة قـد تتدخـل لدعـم التطـرف، وتسـتخدم موسـكو هـذه الأوراق لزيـادة نفوذهـا ووجودهـا العسـكري هنـاك [12].

وقـد أدت مجموعـة مـن العوامـل إلـى تحسـين موقـع روسـيا في مقابـل جيرانهـا؛ حيـث تعافـت مـن الأزمـة الاقتصاديـة، وزادت الفوائـض الماليـة لديهـا نتيجـة الزيـادة المسـتمرة في أسـعار النفـط، ورأت أنـه يجـب تأمـين الجمهوريـات السـوفيتية السـابقة كسـوق لنشـاط قطـاع الأعمـال الروسـي، كمـا يجـب عليهـا الحفـاظ علي هـذه الـدول مـن توسـيع التحالفـات العسـكرية – السياسـية مثـل حلـف الناتـو، وكان لزامًـا علـى موسـكو أن تكـون قـادرة علـى التوسـط وإدارة النزاعـات بـين جيرانهـا، وأن تمـارس القيـادة السياسـية في إطـار الكومنولـث.

وفي ظل الوجـود العسـكري الأمريكـي في أفغانسـتان بسـبب الحـرب علـى الإرهـاب، أدركـت روسـيا أن الولايـات المتحـدة الامريكيـة تريـد تقويـة وجودهـا في أفغانسـتان لتتحـول إلـى منصـة عمـل باتجـاه جمهوريـات آسـيا الوسـطى، وصـولاً إلـى حـوض قزويـن عبرهـا، ومـن أجـل السـيطرة علـى الكميـات الكبيـرة مـن النفـط والغـاز في تلـك المناطـق، لـذا بـادرت

روسيا باتخاذ خطوات من شأنها تقوية مواقعها في آسيا الوسطى، من خلال ربط جمهوريات تلك المنطقة باتفاقيات والتزامات تصب في خدمة مصالح روسيا ومصالح هذه الجمهوريات في آن واحد[13].

ويمكن النظر لجهود روسيا لتحقيق مصالحها في آسيا الوسطى على المستوى السياسي الأمني والاقتصادي والجغرافي الثقافي، فسياسيا وأمنيا وتعمل موسكو على إنشاء نظام أمني في المنطقة من خلال "منظمة معاهدة الأمن الجماعي" لحماية روسيا من التحديات القادمة من جميع الاتجاهات، ويشمل ذلك النظام (أرمينيا، وبيلاروسيا، وبلدان آسيا الوسطى كازاخستان، قرغيزستان، طاجيكستان، وأوزبكستان)، وهذه المعاهدة تسمح بالتشاور السياسي وقدر ما من التنسيق بين المؤسسات الدفاعية والأمنية للدول الأعضاء، وتستغل روسيا هذا التحالف الأمني لتحقيق نوع من التضامن الدبلوماسي بين الأعضاء، أي حلفائها فمثلا تصدر الدول الأعضاء في هذا التحالف بيانات مشتركة خلال اجتماعات منظمة الأمن والتعاون في أوربا. وتحاول روسيا إقامة علاقات رسمية بين الناتو ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، وهو ما يعد اعترافا بهيمنة **روسيا عسكريا وسياسيا على المنطقة.**

تاثير روسيا على دول اسيا الوسطى:

لابد من معرفة واقع دول هذه المنطقة في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ لأن معرفة الواقع تسهّل معرفة أسباب بروز أحزاب الصحوة الإسلامية، وكذلك تقرّب فهم تعامل حكام تلك الدول مع ظاهرة ما يسمى بالإسلام السياسي. إن الوضع السياسي والاجتماعي لدول آسيا الوسطى والقوقاز ما زال قائمًا لم يتغير كثيرًا عما كان عليه بعد تفكك الاتحاد السوفيتي رغم مرور أكثر من عقدين من الزمن، ونلخص الحالة في النقاط التالية:

أولاً:

بقيت هذه الدول لفترة طويلة تحت سيطرة روسيا القيصرية ثم وقعت تحت سيطرة السلطة البلشفية في الاتحاد السوفيتي ولذلك بقيت طوال تلك الفترة منعزلة عن العالم عمومًا وعن العالم الإسلامي خصوصًا. وفي فترة سيطرة الاتحاد السوفيتي؛ حاولت السلطة الشيوعية بكل الوسائل أن تقضي على الهوية الدينية والإسلامية لشعوب هذه المنطقة، كما حاولت أن تمنعها وتعزلها عن المؤثرات الخارجية. وكان من أهم تلك الوسائل تغيير حروف لغاتها، ومنعها من إجراء أي نوع من الاتصال بالعالم.

وضمنت هذه السياسة أن تبقى هذه الدول حتى بعد استقلالها شكليًا مرتبطة ثقافيًا واقتصاديًا، وسياسيًا بروسيا. ولاشك أن اعتماد هذه الدول على روسيا يختلف من دولة إلى أخرى، فبعضها معتمد كليًا مثل طاجيكستان، وتختلف الحال لدى الدول الأخرى مثل قرغيزيا وكازاخستان تبعًا للحاكم وتوجهاته وحالة الدولة الاقتصادية.

ثانيًا:

ونتيجة للاعتماد الكلي على روسيا، لم تطور هذه الدول نفسها، وبقيت الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ضعيفة، وكلما تعرضت لشيء من الضغوط الداخلية أو الخارجية لجأت إلى روسيا كما حدث في الحرب الداخلية في طاجيكستان بين حزب النهضة الإسلامي الطاجيكي وبين الميليشيات الشيوعية من الكولابيين بين الأعوام من 1992 إلى 1997، حين تدخلت روسيا وأوزبكستان في هذه الحرب لصالح الشيوعيين الكولابيين بزعامة إمام علي رحمانوف الذي تولى زمام الأمور بعد تنحي الرئيس الطاجيكي رحمان نبي أوف، فأرسلت روسيا كتائب من جيشها سيطرت على مطار دوشنبه وانتشرت على الحدود الطاجيكية-الأفغانية، وساعدت أوزبكستان الشيوعيين السابقين بالطائرات والسلاح والعتاد في هذه الحرب ضد حزب النهضة الطاجيكي (14).

ثالثًا:

إن الظروف التي تضطر هذه الدول فيها للاعتماد الكامل على روسيا ليست مثالية في نظر حكامها، ومن ثم فهم يحاولون باستمرار أن يغيروها وأن يخرجوا من سيطرة روسيا الحصرية بالاتصال بالدول الأخرى وخاصة أميركا وبعض القوى الإقليمية الصاعدة مثل تركيا وإيران وغيرها، لكنها عندما تتعرض لضغوط استثنائية تعود تلقائيًا إلى روسيا.

رابعًا:

في البداية أعلن حكام هذه الدول أنهم سيتبعون نهج إطلاق الحريات لشعوب المنطقة والسماح بتشكيل الأحزاب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي مباشرة، لكنهم لما رأوا أن هذا النهج ثمنه خسارة مواقعهم في الحكم وفوز أحزاب الصحوة الإسلامية، المؤهلة أكثر من غيرها للاستفادة من أوضاع الانفتاح وتصدر المشهد السياسي، تراجعوا عن ذلك النهج وضيقوا على الحريات، ومنعوا الناس من ممارسة شعائر دينهم باسم محاربة التطرف والإرهاب. وساندتهم في ذلك أميركا وبعض الدول الأوروبية، لكن الدول

التي أدرك الغرب أن الصحوة الإسلامية ضعيفة فيها، وأنها لا تستطيع أن تستفيد من أجواء الانفتاح، شهدت بدعم غربي إطلاق الحريات السياسية مثل قرغيزستان، ونتيجة لتلك المساندة الغربية اضطر الرئيس القرغيزي عسكر أقايوف، الذي كان يحلم بأن يكون رئيس الدولة القرغيزية مدى الحياة، إلى التخلي عن رئاسة الدولة عام 2005، وتولى الحكم فيها كرمان بك باكييف، ولما ساءت سيرته ثار الشعب ضده فأطيح به في ثورة 2010م الشهيرة، لتتولى الحكم روزا اتونباييفا[15]، وتمت جميع هذه التغييرات بمساندة الغرب، دون أن ينسحب هذا التأييد على باقي الدول.

خامسًا:

من الناحية الاجتماعية فإن شعوب هذه المنطقة قد تأثرت بالتقاليد الاجتماعية الروسية، لأنها بقيت لفترة طويلة تحت رقابة شديدة، وسعت السلطات الشيوعية إلى أن تصبغها بصبغتها وأن تقطع صلتها بالإسلام وبتقاليدها القومية الخاصة، وتحاول السلطات الحاكمة اليوم الاكتفاء بالانتماء الشكلي إلى الإسلام.

سادسًا:

من الناحية السياسية والإدارية فقد تولى أمور الدولة الشيوعيون السابقون في أغلب البلاد المذكورة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وتقلد رؤساء أفرع الحزب الشيوعي العديد من المناصب بعد إعلان الاستقلال، وما زالوا في سدة الحكم حتى بعد مضي عقدين من الزمن في غالبية هذه الدول، ومن هنا لم يختلف التعامل مع الإسلام والحركات الإسلامية حتى الآن عما كان عليه في عهد الاتحاد السوفيتي وأيام القبضة الحديدية للاستخبارات السوفيتية السابقة (KGB) بل وساءت معاملة المعارضين أكثر من ذي قبل.

سابعًا:

من أهم التغييرات التي شهدتها المنطقة محاولة إحلال الوطنية والقومية محل النظرية الشيوعية. عندما تفكك الاتحاد السوفيتي واندحرت الفلسفة الشيوعية حاول الحكام الجدد لدول آسيا الوسطى أن يملئوا الفراغ الناتج عن انحسار النظرية الشيوعية في البداية بالإسلام التقليدي أو ما كان يسمى بالإسلام الرسمي، وفي نفس الوقت توجهوا الوجهة القومية والوطنية، وكان هذا توجهًا عامًا في جميع دول آسيا الوسطى مثل أوزبكستان وقرغيزستان وطاجيكستان؛ إذ حاول جميع حكام المنطقة أن يخترعوا لأنفسهم ولاءات قومية مع أن أغلب هؤلاء ليسوا منتمين لتلك العرقيات التي يتبنونها

فعلى سبيل المثال إسلام كريموف الذي يتبنى القومية الأوزبكية بقوة وُلد من أبوين طاجيكيين عام 1930م في سمرقند[16].

ترتبط رؤية روسيا تجاه آسيا الوسطى بشكل مباشر بامنها القومي، كما كان للصحوة الروسية، والتي بدت واضحة جلية بعد أزمة أوسيتيا الجنوبية 2008 وما اتخذته من إجراءات في الفترة التي تلتها لاستعادة نفوذها في المنطقة، دورها الأساسي في تراجع النفوذ الأمريكي في المنطقة، حيث كانت توازنات القوى الحالية تعكس إرهاصات تفاهم دولي لتقسيم مناطق النفوذ في العالم، وقبولاً أمريكياً ضمنياً بعودة المنطقة للنفوذ الروسي، يؤكد هذا مؤشرات عدة لعل آخرها رد الفعل الأمريكي تجاه أحداث قرغيزستان التي أطاحت بحليف لها دفعت به إلى السلطة عام 2005.

لم يكن متصوراً في منطقة كانت قبل ذلك بسنوات جزءاً من الاتحاد السوفييتي، وتظل على الدوام أهمية قصوى لأمن روسيا الاتحادية، وكانت تأمل في إقامة كومنولث يضم الدول السلافية الثلاث: روسيا وأوكرانيا وبلوروسيا، ويتجه غرباً ليضم دول شرق ووسط أوربا، إلا أن الكومنولث لم يتجه غرباً، وإنما شرقاً، واتسع ليضم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، خاصة وأن هناك 25 مليون روسي انتشروا في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، ويمثلون نسبة يعتد بها من سكان جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، فهم يمثلون 37.8٪ من عدد سكان كازاخستان، و(21٪) في قيرغيزستان و(9٪) من سكان تركمانستان، و(8٪) من كل من سكان أوزبكستان، وطاجيكستان على التوالي، و (6٪) في أذربيجان.

بعد وصول فلاديمير بوتين إلى سدة السلطة في روسيا، أظهرت رؤية روسية تعمل بقوة لإعادة روسيا إلى مكانتها كقوة عظمى، وهذا الصعود الروسي والتراجع الأمريكي في تخبط سياساته خففا من حدة الصراع في آسيا الوسطى، وأبعدها عن واجهة الاهتمام الإعلامي، لكن ذلك لا يغير من الأهمية الاستراتيجية للمنطقة التي قد تعود إلى الواجهة بعد التوصل إلى حل ما للأزمة في سورية.

وقد أدت مجموعة من العوامل إلى تحسين موقع روسيا في مقابل جيرانها؛ حيث تعافت من الأزمة الاقتصادية، وزادت الفوائض المالية لديها نتيجة الزيادة المستمرة في أسعار النفط، ورأت أنه يجب تأمين الجمهوريات السوفيتية السابقة كسوق لنشاط قطاع الأعمال الروسي، كما يجب عليها الحفاظ على هذه الدول من توسيع التحالفات العسكرية - السياسية مثل حلف الناتو، وكان لزامًا على موسكو أن تكون قادرة على التوسط وإدارة النزاعات بين جيرانها، وأن تمارس القيادة السياسية في إطار الكومنولث.

ويمكن النظر لجهود روسيا لتحقيق مصالحها في آسيا الوسطى على المستوى السياسي الأمني والاقتصادي والجغرافي الثقافي، فسياسيا وأمنيا تعمل موسكو على إنشاء نظام أمني في المنطقة من خلال "منظمة معاهدة الأمن الجماعي" لحماية روسيا من التحديات القادمة من جميع الاتجاهات، ويشمل ذلك النظام (أرمينيا، وبيلاروسيا، وبلدان آسيا الوسطى كازاخستان، قرغيزستان، طاجيكستان، وأوزبكستان)، وهذه المعاهدة تسمح بالتشاور السياسي وقدر ما من التنسيق بين المؤسسات الدفاعية والأمنية للدول الأعضاء، وتستغل روسيا هذا التحالف الأمني لتحقيق نوع من التضامن الدبلوماسي بين الأعضاء، أي حلفائها فمثلا تصدر الدول الأعضاء في هذا التحالف بيانات مشتركة خلال اجتماعات منظمة الأمن والتعاون في أوربا. وتحاول روسيا إقامة علاقات رسمية بين الناتو ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، وهو ما يعد اعترافا بهيمنة روسيا عسكريا وسياسيا على المنطقة.

ويمكن القول؛ إن المصالح العسكرية لروسيا في هذه المنطقة ذات طابع سلبي بالأساس، وهو منع هذه الدول من دخول حلف الناتو أو من استضافة قواعد عسكرية أمريكية جديدة؛ إذ يمكن الجزم بأن السبب وراء الحرب على جورجيا كان رغبة تبليسي في الانضمام للناتو. كما تحاول روسيا وقف انتشار الديمقراطية في كومنولث الدول المستقلة؛ فما تخشاه روسيا ليس الديمقراطية وإنما الجهود الأمريكية لنشرها.

وقد اتهمت روسيا الأوربيين بالسعي إلى توسيع "نطاق نفوذهم" على الدول المجاورة لها. على صعيد آخر، يرى مراقبون أن الثمن الذي دفعه الاتّحاد الأوربي للتخلص من تبعيتها لروسيا في مجال الغاز يعد باهظا، حيث تعاونت مع بلدان تعاني من تجاوزات شديدة فيما يتعلق بالديمقراطية مشيرين إلى الاتفاقيات التي أبرمها مع دول أذربيجان وتركمانستان[18].

ويحظي مشروع نابوكو بأهمية كبيرة لدى الاتحاد الأوربي، لكونه المشروع الرئيس في هذه المنظومة لتخفيض الاعتماد على الغاز الروسي. ويهدف المشروع إلى نقل الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى بلدان الاتحاد الأوربي دون المرور بروسيا. وسيصبح هذا الخط منافسا لخط أنابيب الغاز المسيل الجنوبي «الذي يربط روسيا بإيطاليا». ويعد مشروع TAP الذي يشمل مد خط أنابيب غاز أقصر وأرخص من خلال تركيا، اليونان، ألبانيا والبحر الأدرياتيكي إلى جنوب إيطاليا، ومن ثم في أوربا الغربية، منافسا لمشروع نابوكو. وقد اختارت أذربيجان مشروع خط أنابيب "TAP" لنقل الغاز الذي يتم إنتاجه من حقل شاه دينيز2 ببحر قزوين إلى أسواق أوربا على حساب المشروع المنافس نابوكو المدعوم من الاتحاد الأوربي.

روسيا وإقليم ناغورني كرباخ:

مشكلة إقليم ناغورنو كارباخ :

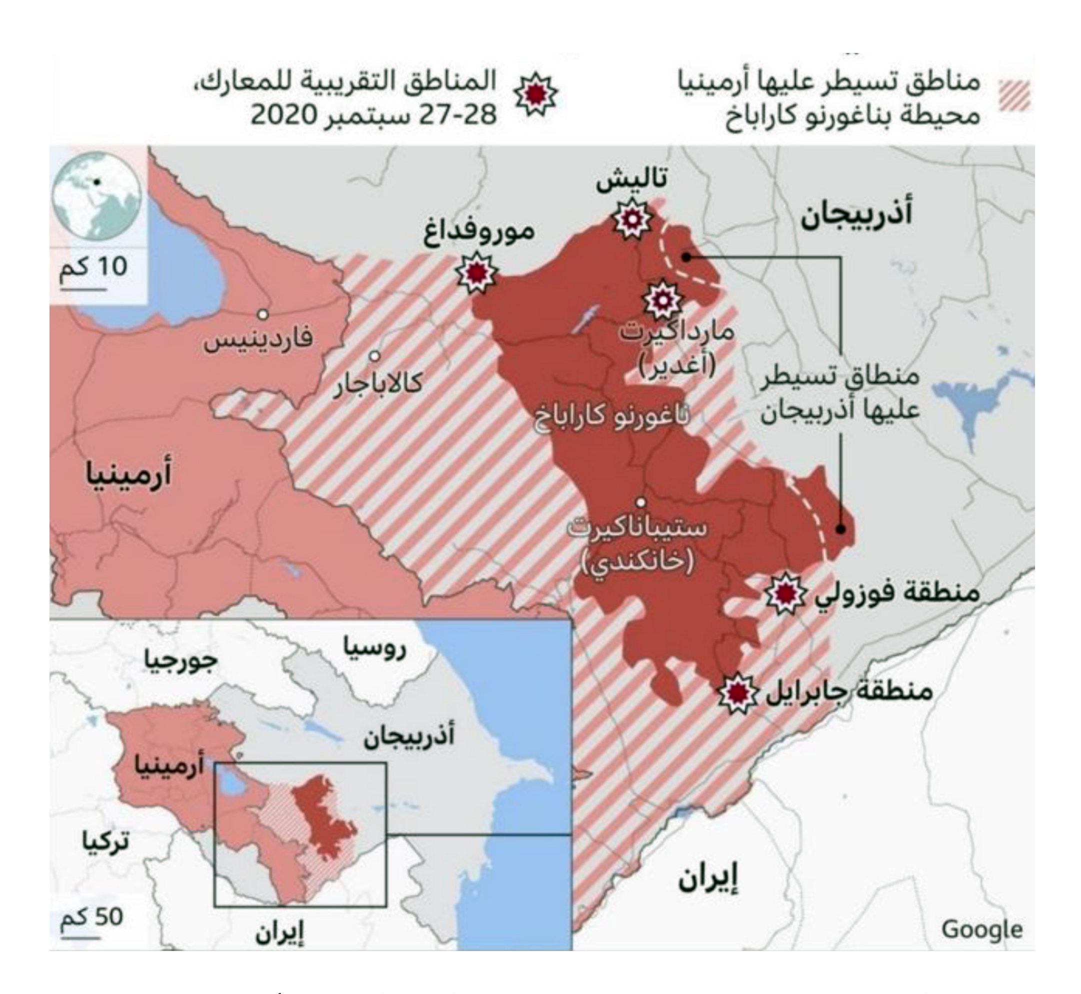
تقع منطقة ناغورنو كاراباخ داخل أراضي أذربيجان وتسكنها أغلبية أرمينية وتحظى بدعم من أرمينيا المجاورة.

كلمة ناغورنو باللغة الروسية تعني مرتفعات، بينما تعني كراباخ الحديقة السوداء باللغة الآذرية. ويفضل أبناء عرقية الأرمن استخدام الاسم الأرميني القديم للمنطقة "أرتساخ".

في عام 1988 وقرب نهاية الحكم السوفيتي دخلت القوات الأذربيجانية والانفصاليون الأرمن في حرب دموية انتهت بتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار وهدنة عام 1994، غير أن المفاوضات فشلت في أن تقود للتوصل إلى معاهدة سلام دائم، ولايزال هذا النزاع واحداً من "الصراعات المجمدة" لما بعد الحقبة السوفيتية.

فبعد نهاية الحرب العالمية الأولى والثورة البلشفية في روسيا، أسس النظام السوفيتي الجديد وقتها -ضمن سياسة فرق تسد في المنطقة- منطقة حكم ذاتي في ناغورنو كاراباخ تسكنها أغلبية أرمينية داخل حدود جمهورية أذربيجان السوفيتية السابقة في أوائل عشرينيات القرن الماضي.يعمل سكان الإقليم في الزراعة وتربية الحيوانات وبعض الصناعات الغذائية الزراعية من المحاصيل المشهورة كالحبوب والقطن والتبغ.

وتشير التقديرات إلى أن الصراع أسفر عن مقتل ما بين 20 ألفاً إلى 30 ألف شخص، ونزوح نحو مليون شخص وسط تقارير عن تطهير عرقي ومذابح على الجانبين. وانتزعت الأغلبية الأرمينية السيطرة على الإقليم، ثم سعت إلى احتلال منطقة متاخمة ضمن أراضي أذربيجان لعمل منطقة منزوعة السلاح تربط بين كاراباخ وأرمينيا.



خارطة (26) الحرب حول إقليم ناغورنو كاراباخ ومناطق سيطرة كل من أذربيجان وارمينيا

ومع انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر عام 1991، أعلنت كاراباخ نفسها جمهورية مستقلة، مما أدى إلى تصاعد الصراع وتحوله إلى حرب شاملة. ولم يتم الاعتراف بدولة "الأمر الواقع" من الخارج، حتى من جانب أرمينيا ذاتها. وعلى الرغم من أن أرمينيا لم تعترف رسمياً باستقلال المنطقة، فقد ظلت الداعم المالي والعسكري الرئيسي لها.

تم التوقيع على وقف لإطلاق النار بوساطة روسية عام 1994، لتصبح كاراباخ ومساحات من الأراضي الأذرية في هذا الجيب تحت السيطرة الأرمينية.

وقد قتل جنود من كلا الطرفين خلال وقائع خرق متفرقة للهدنة. وتسبب إغلاق الحدود بين تركيا وأذربيجان في مشكلات اقتصادية حادة لأرمينيا، كونها دولة حبيسة لا تطل على بحر.

ومنذ التوصل للهدنة، تسير الأمور في طريق مسدود ما بين الأذريين الذين يشعرون بالمرارة لخسارتهم أرضاً يرونها حقاً لهم، والأرمن الذين لا يبدون أي استعداد للتخلي عنها.

وتتولى روسيا وفرنسا والولايات المتحدة رئاسة ما يعرف بمجموعة مينسك -ضمن منظمة الأمن والتعاون في أوروبا- والتي تبذل مساعي للتوسط من أجل وضع حد للنزاع.

وخلال الاستفتاء الذي أجراه الإقليم في ديسمبر/ كانون الأول 2006 واعتبرته أذربيجان غير شرعي، أقرت المنطقة دستوراً جديداً.

وكانت بعض بوادر التقدم تظهر من حين لآخر خلال لقاءات متقطعة بين رئيسي أذربيجان وأرمينيا. فقد أُحرز تقدم ملحوظ قد خلال المحادثات بين الزعيمين عام 2009، إلا أنه لم يستمر، ووقعت منذ ذلك الحين عدة انتهاكات خطيرة للهدنة، كان من أبرزها مقتل عشرات الجنود من الجانبين في أعمال عدائية متبادلة في إبريل/ نيسان 2016.

عوامل جيوسياسية:

تزيد العوامل الجيوسياسية الصراع تعقيداً. إذ أن تركيا العضو في حلف شمال الأطلسي "الناتو" كانت أول دولة تعترف باستقلال أذربيجان عام 1991. وقد سبق ووصف رئيس أذربيجان السابق حيدر علييف البلدين تركيا وأذربيجان بأنهما " بلد واحد في دولتين". وتجمع البلدين صلات ثقافية واجتماعية، كما تعهد الرئيس رجب طيب إردوغان بدعم بلاده لاذربيجان.

كما أن تركيا ليست لديها علاقات رسمية بأرمينيا، وقد أغلقت حدودها معها عام 1993 دعماً لأذربيجان خلال الحرب بشأن ناغورنو كاراباخ.

في حين تحتفظ أرمينيا بعلاقات جيدة مع روسيا. وتوجد فيها قاعدة روسية، والبلدان عضوان في منظمة معاهدة الأمن الجماعي، أو ما يعرف بحلف طشقند الذي يضم عدد من الدول المستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي. وفي الوقت نفسه، يتمتع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بعلاقات جيدة مع أذربيجان. وقد دعت موسكو إلى هدنة بين الجانبين.

وفي عام 2018 شهدت أرمينيا انتفاضة سلمية أطاحت بالرئيس سيرج سيركسيان من

السلطة. وتولي زعيم المعارضة نيكول باشينيان رئاسة الوزراء بعد انتخابات حرة في العام نفسه. وبعد توليه السلطة، اتفق باشينيان مع رئيس أذربيجان إلهام علييف على تهدئة التوتر بين الجانبين.

وأصدر البلدان عام 2019 بياناً يعلن حاجتهما "لاتخاذ إجراءات ملموسة لإعداد الشعبين للسلام". غير أن هذه الكلمات لم تفض إلى نتيجة. ومن غير الواضح أي من البلدين بدأ بالهجوم في أعمال العنف الأخيرة، غير أن التوتر كان يتصاعد بالفعل في الأونة الأخيرة منذ الاشتباكات التي وقعت في يوليو / تموز الماضي وخلفت خسائر على الجانبين.(19)

بدأت أذربيجان الحرب ضد إقليم ناغورنو كاراباخ، في 27 الشهر الماضي (سبتمبر/ أيلول) 2020 بإعلانٍ رسمي، بحجة خروجه عن سيطرتها، وسيطرته، بمساعدة أرمينيا على ست مناطق أذربيجانية في عام 1993، وانتهت الحرب حينها باتفاقية مينسك، ولكنها لم تتوّج باتفاقية سلام..

دعمت تركيا الموقف الأذربيجاني مباشرة، الإقليم. ومع هذا الموقف "القومي والديني"، تتخذ الحرب وجهاً قومياً ودينياً.. وفي دعم تركيا هذا وجه ديني، وإن كانت تركية "سنيّة" وأذربيجان "شيعيّة". وللمفارقة هنا، أن إيران "الشيعية" تدعم أرمينيا، والأمر متعلق بخلافاتٍ بين إيران وأذربيجان، وبتدخل أذري في الداخل الإيراني ودعم القومية الأذرية لنيل حقوقها. ويوضح الموقف التركي الفوري، وليس بعد تطوّر الحرب، أن هناك تنسيقاً كبيراً كان يجري بين أذربيجان وتركيا، متعدد المستويات، وسابقا للحرب الجديدة. قوة أذربيجان أنها تسلحت بأموال الطاقة، بعد عام 1994، عبر روسيا وتركيا وإسرائيل، بينما أرمينيا مواردها شحيحة، وحتى الإقليم الذي هاجمته أذربيجان لا يتجاوز عدد سكانه 150 ألف نسمة، وبالتالي لن يصمد أمام الهجوم المدعوم إقليمياً. يضاف إلى ذلك الصمت الروسي، والاكتفاء بالمراقبة، كما يعلن دبلوماسيون روس، مع التأكيد على ضرورة إيقاف الحرب؛ وهذا الموقف لا يخص روسيا، بل أوروبا وأميركا أيضا، واللتين تتخذان الموقف ذاته.

تريد كلا من أذربيجان وتركيا انتصاراً قوياً، سيما أن تركيا تعرّضت لما يشبه الخسارة في البحر المتوسط، حيث رفضت أوروبا بشكل قاطع تغيير المعاهدات الدولية بخصوص الحدود البحرية وفرض اتفاقيات جديدة، وتغيير الوضع القديم في قبرص وليبيا والجزر التابعة لليونان. ويثير الموقف التركي حفيظة روسيا التي تعدُّ أذربيجان وأرمينيا جزءا من دولتها التاريخية "القيصرية والاتحاد السوفييتي" ومجالها الحيوي.

ولكـن روسـيا، كمـا أميـركا، تنتهـج سياسـة إدارة الأزمـات العالميـة، ومفاقمتهـا، وإشـعال الحـروب، وتغذيـة أطرافهـا بالأسـلحة، كمـا تفعـل ببيـع الأسـلحة لـكل مـن أذربيجـان وأرمينيـا.

ان شـعور أذربيجـان بالقـوة، وأنهـا ستسـتعيد الإقليـم المتمـرّد، يفتـح الطريـق نحـو انتعـاش كبيـر للمسـألة القوميـة في إقليـم القوقـاز، وليـس بـين أرمينيـا وأذربيجـان. وسيشـكل هـذا ضـرراً مسـتقبلياً علـى الـروس الذيـن سيسـتغلون أطـراف الصـراع، ليفرضـوا معاهـدات مسـتقبليةً عليهمـا بمـا يحقـق مصالحهـم وعلـى المسـتويات كافـة، ولكـن الحـرب القوميـة تلـك سـتدعم ذلـك الانتعـاش، وهـذا ليـس في مصلحتهـا.

لا يمكـن أن يسـمح الحضـور الروسـي في الدولتـين لتركيـا بالتمـدّد الكبيـر في أذربيجـان، وإقامـة علاقـات قويـة مـع بعـض جمهوريـات الاتحـاد السـوفييتي السـابق، والتـي يجمعهـا مـع تركيـا العـرق والثقافـة والتاريـخ.

حساسـية هـذه القضيـة ومحـاولات السـلطة التركيـة السـير في هـذا الاتجـاه، وفـرض نفسـها قـوة إقليميـة نـدّاً للـروس، سـيدفع لاحقـاً الـروس، ومـن أجـل مصالحهـم الجيوسياسـية، إلى إيقـاف تركيـا عنـد حـدودٍ معينـة.و لا يسـمح الحضـور الروسـي في الدولتـين لتركيـا بالتمـدّد الكبيـر في أذربيجـان، وإقامـة علاقـات قويـة مـع بعـض جمهوريـات الاتحـاد السـوفييتي السـابق.

هـذا لا يعنـي أن روسـيا سـتترك إقليـم ناغورنـو كاراباخ لمجـزرة كبيـرة أو لاحتـلال أذري، حيـث سيشـكل ذلـك دوافـع جديـدة للأرمـن لتغييـر تحالفاتهـم مـع روسـيا نحـو خيـاراتٍ جديـدة، وهـي مفتوحـة في كل الأحـوال، كالعلاقـات القويـة مـع الولايـات المتحـدة الأميركيـة، والاتحـاد الأوروبـي، وهنـاك إيـران.

روسـيا معنيـة بإيقـاف تطـوّر الحـرب، وبتقديـم مبـادرات سياسـية، مـع ممارسـة ضغـوط قويـة علـى طـرفي الصـراع للحـدّ منـه. فهـل سـتجد الـدول المشـرفة علـى اتفـاق مينسـك حـلاً لإقليـم ناغورنـو كاراباخ، بعـد أن فشـلت مـن قبـل؟ تتطلـب المسـائل القوميـة رؤيـة عالميـة جديـدة لمناطقهـا المتفجـرة، ومـن دون إنصـاف شـعوبها بدولـةٍ أو عبـر حقـوق المواطنـة أو الحكـم الذاتـي، وغيرهـا مـن الأشـكال السياسـية والإداريـة، لـن يكـون ممكنـاً إخمـاد صراعاتهـا، وسـتظلّ مسـألة للاسـتثمار الخارجـي، وكاراباخ الآن مثـال.(20)

توصل أذربيجان وأرمينيا الى اتفاق بشان ناغورني كراباخ :

قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في تصريح بثته وسائل الإعلام فجر الثلاثاء: "في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر 2020 وقع رئيس أذربيجان (إلهام علييف) ورئيس وزراء أرمينيا (نيكول) باشينيان ورئيس روسيا الاتحادية إعلانا ينص على وقف شامل لإطلاق النار وإنهاء كل العمليات العسكرية في منطقة النزاع في ناغورني قره باغ، وذلك اعتبارا من منتصف ليل العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر بتوقيت موسكو".

ولفت بوتين إلى أن الاتفاق يقضي بأن يحتفظ طرفا النزاع "بالمواقع التي يسيطران عليها"، ما يعني خسارة الانفصاليين الأرمن السيطرة على أنحاء واسعة من الإقليم بعدما دحرتهم منها القوات الأذربيجانية. (21)

وقال باشينيان في بيان على صفحته في موقع فيس بوك: "لقد وقعت إعلانا مع الرئيسين الروسي والأذربيجاني لإنهاء الحرب في قره باغ"، واصفا هذه الخطوة بأنها "مؤلمة بشكل لا يوصف، لي شخصيا كما لشعبنا وفور شيوع الخبر تقاطر آلاف من المتظاهرين الغاضبين إلى المقر الحكومي في يريفان، وأطلقوا هتافات مندة برئيس الوزراء من بينها "نيكول خائن.".

وتظاهر القسم الأكبر منهم خارج المقر في حين اقتحمه بضع مئات منهم وعاثوا خرابا في مكاتبه، ولا سيما في إحدى قاعات مجلس الوزراء، وحطموا زجاج عدد من نوافذه. وقال باشينيان في بيانه إنه اتخذ قرار التوقيع على اتفاق وقف إطلاق النار "بعد تحليل معمق للوضع العسكري"، في إشارة إلى التقدم الذي حققته القوات الأذربيجانية على مدى الأسابيع الستة الماضية، مشددا على أن هذا الاتفاق هو "أفضل الحلول المتاحة في الوضع الراهن.

لكن رئيس أذربيجان إلهام علييف تحدث عن "وثيقة استسلام" أُرغمت يريفان على توقيعها. وقال في خطاب عبر التلفزيون: "لقد أجبرناه (رئيس الوزراء الأرميني نيكول باشينيان) على توقيع الوثيقة، إنها بالأساس وثيقة استسلام". وأضاف: "لقد قلت إننا سنطردهم (الأرمينيين) من أراضينا طرد الكلاب، وقد فعلنا."

وأوضح الرئيس الأذربيجاني أن اتفاق وقف إطلاق النار يرتدي "أهمية تاريخية"، مشيراً إلى أنه ينص على أن تسحب أرمينيا قواتها من الإقليم خلال مهلة زمنية قصيرة، وعلى أن تشارك روسيا وكذلك أيضا تركيا، حليفة أذربيجان، في تطبيق بنود الاتفاق.

ونعت علييف رئيس الوزراء الأرميني بـ "الجبان" لأنه لم يوقع الاتفاق أمام عدسات وسائل الإعلام وأتى إبرام هذا الاتفاق بعيد إعلان القوات الأذربيجانية أنها سيطرت على شوشة، المدينة الاستراتيجية الواقعة على بُعد 15 كيلومترا من عاصمة الإقليم الانفصالي ستيباناكرت، وهو ما نفته القوات الانفصالية.

ووفقا لبوتين فإن بلاده بصدد نشر ما يقرب من ألفي جندي لحفظ السلام وضمان امتثال طرفي الاتفاقية لبنودها نونقلت وكالات الأنباء الروسية عن وزارة الدفاع في موسكو قولها إن قوات حفظ السلام الروسية التي ستنتشر في الإقليم المتنازع عليه قوامها 1960 جنديا و90 عربة مصفحة.

وينص الاتفاق خصوصا على استعادة أذربيجان السيطرة على العديد من المناطق التي كان يسيطر عليها الانفصاليون ودحروا منها، كما يبقي على ممر بري يربط بين الأراضي التي لا تزال تحت سيطرة الانفصاليين وأرمينيا [22]. د مقطع فيديو ذات صلة

الاتحاد الأوربي :

شرع الأوربيون منذ منتصف التسعينيات في التقرب لهذه الجمهوريات، وخصوصًا منها جمهوريات آسيا الوسطى وبحر قزوين "كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان" التي تملك احتياطات هائلة من النفط والغاز بهدف إقناعهم بتحويل نقل إنتاجهم عبر خطوط جديدة لا تمر عبر الأراضي الروسية[17] لذا تسارعت وتيرة التسابق بين الاتحاد الأوربي وروسيا للسّيطرة على مصادر الطّاقة خاصّة في الدول المجاورة لروسيا، الأمر الذي أصبح مصدرا لتنامي قلق الكرملين.

وتعد تركمانستان من بين الدول التي يتهافت الاتحاد الأوربي وروسيا للسيطرة على مصادر الطاقة فيها، الأمر الذي أثار امتعاض الروس، ذلك أنهم يستوردون منها مواد أولية بأسعار منخفضة لبيعها مرة أخرى بأسعار مرتفعة في أوربا. بالإضافة إلى الاتفاقية التي وقعها عملاق الطاقة الألماني إر.في.إي (RWE) مع تركمانستان في 2008، والذي يتعهد بموجبها البلد الآسيوي بتزويد أوربا بإمدادات الطاقة، وذلك عبر خط أنابيب نابوكو، الذي يفترض أن يمر من آسيا الوسطي عبر بحر قزوين وجنوب القوقاز وصولا إلى تركيا. (23)



خارطة (27) خط انابيب الغاز نابوكو

العلاقات التركية مع دول آسيا الوسطى:

استفادت أنقرة من الصلات اللغوية والثقافية المشتركة في علاقاتها مع الدول الجديدة الناشئة في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفييتي، والتي تمثلت في أذربيجان وتركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان وقيرغيزستان. وتُشكل هذه البلدان ما يسمى ب"العالم التركي" الذي يمتد من القوقاز إلى وسط آسيا. ولأن تفكك الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو قلل من قيمة الموقع الاستراتيجي التركي، استطاعت أنقرة التغلب على ذلك بتوجيه سياستها الخارجية نحو الشرق من خلال لعب دور المُيسر لتكامل الدول المستقلة حديثاً في النظام الاقتصادي والسياسي العالمي.

أما المراجعة الثانية للسياسة التركية نحو اسيا الوسطى فكانت نتيجة صعود حزب العدالة والتنمية بعد فوزه في الانتخابات البرلمانية التركية في عام 2002. وقد استلهمت أنقرة سياستها الخارجية الجديدة من الإطار النظري الذي وضعه أحمد داود أوغلو في كتابه "العمق الاستراتيجي"، والذي شغل منصب وزير خارجية تركيا ومن ثم رئاسة الوزارة ،إذ رأى أوغلو أن نهاية الحرب الباردة جعلت الفرصة سانحة أمام تركيا لتصبح قوة عالمية، بما ينعكس في أجندة توسعية للسياسة الخارجية على

أساس أيديولوجية إسلامية. وهذه الرؤية تسمح لتركيا بالهيمنة على المناطق التي تمثل عمقاً لها، مثل اسيا الوسطى و القوقاز والبلقان، بما يخلق مجال جديد للنفوذ التركي.

وحسب الدراسة، كان لهذين التعديلين تداعيات مهمة على السياسة الخارجية التركية تجاه أوراسيا، فالانخراط التركي في هذه المنطقة مر بثلاث مراحل خلال الفترة من عام 1989 إلى عام 1995، كالتالي: (24)

- **المرحلة الأولى** من 1989 إلى 1991: عملت تركيا على تجنب الدعم الصريح للحركات القومية الناشئة في الاتحاد السوفييتي، وذلك بهدف الحفاظ على روابطها مع القوقاز وآسيا الوسطى عبر موسكو.

- **المرحلة الثانية** من 1991 إلى 1993: حاولت أنقرة أن تستفيد من وجود ما سُمي بالعمق التركي، حيث القواسم المشتركة التقليدية واللغوية بينها وبين الدول المستقلة حديثاً، والتي ساهمت في تأسيس علاقات بينها. واعتقدت أنقرة أن هذه البلدان الجديدة ستتأثر بالنظام التركي القائم على قيم الديمقراطية والعلمانية، وبالتالي ستميل إلى تبني النموذج التركي، والابتعاد عن النموذجين الروسي والإيراني. ومن ثم، انطلقت أنقرة نحو بناء ساحة جديدة للنفوذ ولكن من دون خطة عمل محددة.

- **المرحلة الثالثة** من 1993 إلى 1995: أصبحت روسيا أكثر فاعلية في ملء الفجوة التي ظهرت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. وبعد عام 1995 تقبلت تركيا هذه الحقيقة، وبدأت في تنفيذ سياسة خارجية حذرة في المنطقة لتجنب المواجهة مع موسكو.

وركزت سياسة تركيا على تطوير العلاقات الثنائية مع بلدان هذه المنطقة، إلى جانب التنسيق مع الأطراف المعنية والمتمثلة في روسيا وإيران والهند والصين وباكستان والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، بحيث تؤخذ سياسات هذه الدول في الاعتبار عند وضع تركيا نهجها الخارجي صوب المنطقة.

ثم تغيرت السياسة التركية الخارجية اذ بدات تسعى إلى تحقيق حلم "تركيا الكبرى Turkic World" عن طريق بسط نفوذها على الدول الناطقة باللغة التركية في وسط آسيا والقوقاز. وفي سبيل ذلك، لجأت الحكومات التركية المتعاقبة إلى استخدام القوة الناعمة Soft power، التي اعتمدت في الأساس على المبادرات الفردية وجهود

المنظمات غير الحكومية التي عملت على نشر الثقافة التركية وتوطيد العلاقات مع الشعوب في هذه الدول.

لقد مثل الدين الإسلامي الأداة الأكثر تأثيراً في السياسة الخارجية التركية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتعطش المجتمعات الإسلامية التي كانت ضمن الكتلة الشيوعية إلى فاعل مسلم تنهل منه ثقافتها التي طالما حرمت منها في ظل الاتحاد السوفييتي. وكانت الخيارات المتاحة لهذه الدول هي: إيران، والمملكة العربية السعودية، وتركيا.

في ضوء ذلك حاولت تركيا تقديم نفسها كبديل علماني مناسب للقيام بذلك الدور، لكن الوضع تأزم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، حيث فُرضت المزيد من القيود على الجماعات الدينية – ومن ضمنها الجماعات التركية – خوفاً من ظهور جماعات دينية متطرفة، وتفاقمت الأزمة مع تنامي الاتجاه الإسلامي لحزب العدالة والتنمية التركي، مما أثار حفيظة دول وسط آسيا والقوقاز.

إن نيل جمهوريات آسيا الوسطى لاستقلالها أضافت بعداً جديداً إلى السياسة الخارجية التركية، حيث تطورت علاقات التعاون بين تركيا وهذه الدول التي ترتبط معها تركيا بروابط اللغة والتاريخ والثقافة المشتركة، بشكل سريع استناداً إلى المنفعة المتبادلة.

ويمكن تلخيص السياسة العامة التركية حيال آسيا الوسطى بأنها تدعم دول هذه المنطقة فيما يخص مواصلتها لوجودها كدول مستقلة، ومستقرة سياسياً واقتصادياً، ومتعاونة فيما بينها ومع جوارها، ومتكاملة مع المجتمع الدولي ومتمسكة بالقيم الديمقراطية. وبفضل هذه السياسة أصبحت تركيا شريكة هامة لدول المنطقة.

اعترفت تركيا على الفور باستقلال هذه الدول ودون أي تمييز فيما بينها، ومازالت تقدم الدعم الاقتصادي لها. وتواصل وكالة التعاون والتنسيق التركية (TİKA) التي تأتي في مقدمة الوكالات التي تقدم مساعدات تنموية لدول المنطقة، لعب دور فعال في المنطقة عبر تنظيم البرامج التعليمية والمشاريع والمساعدات التقنية. وتعتبر تركيا إحدى أكبر 20 اقتصاداً في العالم، وإحدى أهم اللاعبين في المنطقة من حيث أرقام النمو التي حققتها، لذا فإنها تقدم فرصاً استثمارية هامة لدول المنطقة.

أنشأت تركيا العديد من الآليات مع هذه الدول كالزيارات المتبادلة واللجان الاقتصادية المشتركة ولجان النقل البري المشتركة ومجالس رجال الأعمال ومجالس التعاون

الاستراتيجية رفيعة المستوى، هدفت من خلالها إلى زيادة مجالات التعاون وتنويعها مع هذه الدول. بلغ حجم التبادل التجاري بين تركيا ودول المنطقة 7 مليارات دولار لغاية نهاية عام 2016، بينما بلغت قيمة استثمارات الشركات التركية في دول المنطقة 14 مليار دولار لغاية نهاية شهر كانون الأول/ديسمبر 2017. أما قيمة المشاريع التي نفذتها شركات المقاولات التركية في دول المنطقة فقد تجاوزت 86 مليار دولار، حيث توجد أكثر من 4 آلاف شركة تركية تمارس نشاطاتها في المنطقة. وصلت العلاقات القائمة بين تركيا وكازاخستان وتركيا وقرغيزيا مستويات الشراكة الاستراتيجية، حيث تسير العلاقات بين تركيا وهاتين الدولتين في إطار آلية مجلس التعاون الاستراتيجي رفيع المستوى. كما تقرر إنشاء مجلس تعاون بين تركيا وطاجكستان. وتتطور العلاقات بين تركيا وتركمانستان بسرعة في الكثير من المجالات، وخاصة في مجال التجارة والاقتصاد والاستثمارات والمقاولات. وكذلك هناك زخم كبير تشهده العلاقات التركية الأوزبكية في الآونة الأخيرة. وتنفذ تركيا أيضاً برنامجاً كبيراً للمنح الدراسية يحمل عنوان المنح التركية، للطلاب في آسيا الوسطى والدول الأخرى في المنطقة.

وهنالك مدارس تركية في جمهوريات آسيا الوسطى، تتبع لوزارة التربية الوطنية التركية. وتوجد في مدينة تركستان الكازاخية جامعة الشيخ أحمد ياساوي الدولية التركية الكازاخية، وتوجد في العاصمة القرغيزية بيشكاك جامعة ماناس التركية القرغيزية.

وإضافة إلى تطوير العلاقات الثنائية بين تركيا وهذه الدول، فإن تركيا تولي أيضاً أهمية خاصة للتعاون المتعدد الأطراف بين دول العالم التركي. وانطلاقاً من هذا المفهوم، لعبت تركيا دوراً رائداً في مسار "قمم قادة الدول الناطقة بالتركية" التي بدأت بالانعقاد في عام 1992 ولغاية الآن، وذلك من أجل زيادة التضامن بين الدول الناطقة بالتركية وخلق فرص تعاون جديدة فيما بينها. وقد تحولت عملية تنظيم هذه القمم إلى هيكلية مؤسساتية من خلال التوقيع على اتفاقية ناهتشيفان المتعلقة بتأسيس مجلس تعاون بين الدول الناطقة بالتركية، والتي تم التوقيع عليها بتاريخ 3 تشرين الأول/أكتوبر 2009. كما تأسس المجلس المذكور في القمة العاشرة لقادة الدول الناطقة بالتركية التي عقدت في إسطنبول في شهر أيلول/سبتمبر 2010، حيث أقيم مقر الأمانة العامة للمجلس في إسطنبول وبدأ المجلس بمباشرة مهامه من هناك. ويواصل مجلس التعاون فيما بين الدول الناطقة بالتركية (المجلس التركي) نشاطاته في إطار الفعاليات المنتظمة التي يتم تنظيمها على كافة الصعد والمستويات.

وتطورت العلاقات التركية مع دول آسيا الوسطى بشكل سريع في المجالات الثقافية والتربوية أيضاً، ففي عام 1993 تم إنشاء منظمة الثقافة التركية الدولية (TÜRK-SOY) من أجل حماية الثقافة والتراث والفن واللغة التركية وترويجها عالمياً ونقلها من جيل إلى جيل.

وفي موازاة ذلك، وقعت تركيا وأذربيجان وكازاخستان وقرغيزيا بتاريخ 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 على اتفاقية إسطنبول حول تأسيس الجمعية البرلمانية للدول الناطقة بالتركية، حيث عقدت الهيئة العامة للجمعية اجتماعها السابع يومي 7–8 كانون الأول/ديسمبر 2017 بمشاركة السيد إسماعيل كهرمان رئيس مجلس الأمة التركي الكبير.



خارطة (28) الموقع الجغرافي لتركيا بالنسبة لاسيا الوسطى

أعادت زيارة الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، الى أوزبكستان، وتوقيعه مع نظيره الأوزبكي، شوكت ميرزاييف، 25 اتفاقية، إلى الواجهة، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى من جهة، والتذكير بالقوة الناعمة لتركيا الجديدة من جهة أخرى، حيث بلغت حصيلة المشاريع التنموية التي نفذتها وكالة التعاون والتنسيق التركية (تيكا) في أوزبكستان منذ عام 1993 إلى اليوم 2021 حوالي 725 مشروعا في مختلف المجالات. واكتشفت أنقرة الفائدة من وجود علاقات ودية وثيقة للشعوب التركية مع الأعراق الأخرى في آسيا الوسطى، بما فيها الموجودة في كازاخستان، ولم تكن

هـذه العلاقـات كاملـة في السـنوات الـعشرون التـي تلـت انهيـار الاتحـاد السـوفييتي. وكانـت حكومـات دول آسـيا الوسـطى تنظـر إلـى تركيـا دولـة تنتمـي للغـرب، ويسـيطر عليهـا التحـرّر الديموقراطـي، وهـو مـا تعتبـره دول المنطقـة تهديـداً محتمـلاً لهـا، وحاليـاً مـن شـأن تحسـين علاقـات تركيـا مـع جيرانهـا في آسـيا الوسـطى، بالتـوازي مـع تحسـين العلاقـات مـع روسـيا وإسـرائيل، مسـاعدتها علـى حـل قضايـا عالقـة حاليـة مـع الغـرب، وتبـدي دول آسـيا الوسـطى رغبـة في توسـيع العلاقـات الاقتصاديـة مـع تركيـا.

سـارت العلاقـات التركيـة مـع جمهوريـات آسـيا الوسـطى بسلاسـة، ففـي عـام 2009، دعـت كازاخسـتان إلـى تأسـيس اتحـاد للـدول الناطقـة بالتركيـة، يشـمل أذربيجـان وكازاخسـتان وقيرغيزسـتان وتركيا، وتتطلع أسـتانة لدور القيادة فيه. رفضت أوزبكسـتان وتركمانسـتان هـذه الدعـوة وقتهـا، ولـم تعتـرض أنقـرة علـى هـذا، مدركـة أن جمهوريـات آسـيا الوسـطى، بعـد خروجهـا مـن عبـاءة موسـكو، لـم تعـد تريـد أن يلعـب أحـد دور الأخ الأكبـر عليهـا. ولكـن خـلال زيـارة أردوغـان أخيـرا إلـى طشـقند، أعلـن رئيـس أوزبكسـتان الجديـد ميزاييـف انضمـام بـلاده لهـذا التجمـع الإقليمـي.

وأمـام هـذه التطـورات رحبـت تلـك الـدول بالنمـوذج التركـي كنمـوذج علمانـي قابـل للتطبيـق بعـد عقـود مـن اعتناقهـا للفكـر الشـيوعي. واسـتندت الجهـود التركيـة علـى محركـين أساسـيين سـاعدا في توطيـد العلاقـة بـين تركيـا وهـذه الـدول.

يتمثـل المحـرك الأول في سـعي الحكومـة التركيـة لتوطيـد العلاقـة مـع (جمهوريـات التـرك المستقلة) – وفـق التعبيـر التركـي ـ عـن الاتحـاد السـوفييتي، ورغبـة أنقـرة في بنـاء اتحـاد سياسـي إقليمـي يضـم الـدول المتحدثـة باللغـة التركيـة تقـوده تركيـا. أمـا المحـرك الثانـي فهـو الاتجـاه العلمانـي للجمهوريـة التركيـة الـذي أكسـب تركيـا تأييـد الغـرب، خوفـاً مـن انتشـار الأيديولوجيـات المتطرفـة والتنظيمـات الإسـلامية المتشـددة، لذلـك كان النمـوذج التركـي هـو البديـل الوسـطي الوحيـد الـذي نجـح في دمـج الإسـلام والعلمانيـة، بمـا لا يتعـارض مـع الفكـر الغربـي ولا مـع مصالحـه.

المصالح المشتركة بين دول اسيا الوسطى والقوقاز ودول العالم ذات العلاقة:

توجـد العديـد مـن العلاقـات الدوليـة بـين دول اسـيا الوسـطى وعـدد مـن دول العالـم القريبـة في موقعهـا الجغـرافي مـن هـذه الـدول وخاصـة في قـارة اسـيا ومهـا:

أ- منظمة مؤتمر التفاعل وتدابير بناء الثقة في آسيا:

تأسست بناءً على طلب من رئيس كازاخستان نور سلطان نزاربابيف، حيث دعا الدول الآسيوية، في أكتوبر 1992، إلى أن تنضم معاً لتطوير الآليات المشتركة حول التعاون والأمن. ووصل عدد الدول الأعضاء في هذه المنظمة حالياً إلى 26 دولة، فضلاً عن ثماني دول أخرى في وضع مراقب.

وتُعد تركيا عضواً مؤسساً في هذه المنظمة، وتسعى من خلال وجودها بها إلى تعزيز تدابير بناء الثقة في مجالات مثل التعاون العسكري والاقتصادي، وفي قضايا ذات صلة بالبيئة ومكافحة الإرهاب والإتجار غير المشروع في البشر. وقد تولت أنقرة رئاسة القمة الثالثة للمنظمة والتي انعقدت في الفترة من 7- 9 يونيو 2010 في اسطنبول، وخلال فترة رئاستها عملت على تقوية آلية التعاون بين الأعضاء بما يُعزز الاستقرار وبناء الثقة.

وعلى الرغم من أن المنظمة لا تزال بعيدة عن منافسة المنظمات الأخرى، مثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، غير أن تركيا تسعى إلى تقوية دورها بالاستفادة من تجارب التعاون الأخرى عبر الإقليمية، مثل رابطة دول جنوب شرق آسيا (آسيان). (25)

ب- منظمة شنغهاي للتعاون:

منظمة شنغهاي للتعاون هي منظمة حكومية دولية تأسست في شنغهاي في 15 حزيران/ يونيه 2001. على يد ستة دول اسيوية هي الصين وروسيا وقيرغيزيا وطاجيكستان وكازاخستان وازوبكستان، ودخل حيز التنفيذ في 2002.

وفي القمة السنوية التي انعقدت مجددا في شنغهاي، في مؤتمر عام في 15 يونيو عام 2001 وتم قبول عضوية أوزبكستان في المجموعة. ليتحول عدد أعضائها من خمسة إلى ستة. فوقع رؤساء الدول الستة على على إعلان «منظمة شانغهاي للتعاون» مشيدين بالدور الذي لعبته المجموعة متطلعين إلى مستوى أعلى من التعاون.

وتتألف منظمة شنغهاي للتعاون حاليا من تسع دول أعضاء (أوزبكستان، وباكستان، وروسيا، والصين، وطاجيكستان، وقيرغيزستان، وكازاخستان، والهند)، وثلاثة دول مراقبة أبدت الرغبة في الحصول على العضوية الكاملة (أفغانستان،، وبيلاروسيا، ومنغوليا)، وتمت المصادقة في اجتماع قمة دوشمبية عاصمة طاجاكستان في 17 أيلول – سبتمبر 2021 قبول ايران في المنظمة كعضو كامل العضوية وستة «شركاء حوار»

(أرمينيا، وأذربيجان، وتركيا، وسريلانكا، وكمبوديا، ونيبال). و تم منح صفة شريك حوار لكل من المملكة العربية السعودية ومصر وقطر في الاجتماع الأخير في 17 سبتمبر 2021.

ومنذ إنشاء منظمة شنغهاي للتعاون في عام 2001، ركزت بشكل أساسي على قضايا الأمن الإقليمي، وعملها في مجال مكافحة الإرهاب الإقليمي، والنزعات الانفصالية العرقية، والتطرف الديني. وحتى الآن، تشمل أولويات المنظمة أيضا التنمية الإقليمية.

ان منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) تهدف إلى بناء نظام عالمي متعدد المراكز، يتسق بشكل تام مع قواعد القانون الدولي ومبادئ الاحترام المتبادل، التي تلبي مصالح كل دولة، مع وضع احتياجاتها وطموحاتها المتبادلة في الاعتبار. وباعتبارها منظمة متعددة الجنسيات ومتعددة الثقافات، فإن منظمة شانغهاى للتعاون تسعى جاهدة إلى إخماد صراع الحضارات في جميع مناطقها بالتحديد.

ظلت منظمة شانغهاي للتعاون مراقباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام 2005. وفي نيسان/أبريل 2010، وقعت أمانتا الأمم المتحدة ومنظمة شنغهاي للتعاون إعلاناً مشتركاً بشأن التعاون. كما أقامت أمانة منظمة شانغهاي للتعاون شراكات مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ومنظمة السياحة العالمية، والمنظمة الدولية للهجرة، بالإضافة إلى تعاونها المستمر مع مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، ولجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لآسيا والمحيط الهادئ، ومكتب الأمم المتحدة المعني بمكافحة الإرهاب.[26]

وتقيم إدارة الشؤون السياسية وبناء السلام، بالإضافة إلى مركز الأمم المتحدة الإقليمي للدبلوماسية الوقائية لمنطقة وسط آسيا، اتصالات منتظمة مع مسؤولي منظمة شانغهاي للتعاون. وتركز أنشطة التعاون على التطورات الأمنية في المنطقة والقضايا الرئيسية المتعلقة بمكافحة الإرهاب ومنع التطرف العنيف. وفي تموز/يوليه 2017، قامت إدارة الشؤون السياسية وبناء السلام بتعيين مسؤول اتصال لدى منظمة شنغهاي للتعاون في بيجينغ.

تاسست منظمة شنغهاي في المؤتمر الذي عقد في شنغهاي عام 1996 حضرته خمسة دول هي الصين وروسيا وطاجاكستان وكازاخستان وقيرغيزستان،وتوالت مؤتمرات القمم السنوية لمجموعة شانغهاي الخماسية في موسكو عام 1997 وفي الما اتا عام 1998،وفي بشكيك عام 1999 وفي دوشنبيه عام 2000. اتفق الأعضاء على معارضة

التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى بحجة الإنسانية وحماية حقوق الإنسان. ودعم جهود بعضهم البعض في حماية الاستقلال الوطني للدول الخمس والسيادة والسلامة.الإقليمية والاستقرار الاجتماع في يونيو 2002 اجتمع رؤساء الدول الأعضاء في منظمة شانغهاي للتعاون في بطرسبرغ وهناك وقعوا ميثاق منظمة شانغهاي للتعاون الذي يشرح أهداف المنظمة ومبادئها وهياكلها وأشكال عملها، للاعتراف بها في القانون الدولي.

بحلول عام 2007م استهلت منظمة شانغهاي للتعاون أكثر من عشرين مشروعًا واسع النطاق فيما يتعلق بالنقل والطاقة والاتصالات، كما عقدت اجتماعات منتظمة للمسؤولين الأمنيين والعسكريين والدفاع والشؤون الخارجية والاقتصادية والثقافية والمصرفية وغيرها لدول الأعضاء.[27] وأقامت منظمة شانغهاي للتعاون علاقات مع عدد من المنظمات الدولية .

في مؤتمر أستانا، عاصمة كازاخستان، في 8 و9 حزيران/ يونيو 2017، مثل مرحلة جديدة في تطوير المنظمة. وكان من بين النتائج الرئيسية للقمة منح عضوية كاملة للمنظمة لكل من الهند وباكستان. وقد سمح انضمام هاتين الدولتين القويتين والمؤثرتين في جنوب آسيا لمنظمة شانغهاي للتعاون بتعزيز قدرتها وتوسيع نطاق الفرص المتاحة لها، بما في ذلك في مجال مكافحة التحديات والتهديدات القائمة والناشئة.

وفي اجتماع أيلول من عام 2021 بمناسبة الذكرى العشرين لتاسيس المنظمة التي عقدت في طاجاكستان تم قبول ايران كعضو كامل لعضوية في منظمة شنغهاي.

حيث صادق زعماء «منظمة شنغهاي للتعاون» على منح إيران العضوية الكاملة فيها. ومن غير المرجح أن يؤدي ذلك إلى إحداث تغييرات ملحوظة على المنظمة بحد ذاتها.

تمثل الدول التسع كاملة العضوية في المنظمة نصف سكان العالم وربع الناتج المحلي الإجمالي في العالم. إن المنطقة الشاسعة التي تضم الدول الأعضاء في منظمة شانغهاي للتعاون، تمتد من الشمال إلى الجنوب من القطب الشمالي إلى المحيط الهندي، ومن الشرق إلى الغرب من ليانيونجانج في الصين إلى كالينينجراد في الاتحاد الروسي، كما يعيش فيها ما يقرب من 44٪ من سكان العالم، وتضطلع بالمهمة الأساسية الخاصة بالحفاظ بشكل جماعي على الاستقرار والتصدي بفعالية للتهديدات الأمنية عبر مناطقنا، وكذلك المسؤولية تجاه ما يعد حالياً أكبر منظمة إقليمية على الأرض عن طريق توحيد أربع قوى نووية، هي نصف عدد الدول النووية في العالم، في منظمة

إقليمية واحدة، فإن منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) تشكل رادعاً إضافياً في إطار النظام الذي تم إنشاؤه للحفاظ على التوازن الاستراتيجي للقوة والاستقرار السياسي في العالم.

بالإضافة إلى اتفاقيات الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون (SCO) بخصوص القضايا الرئيسية المتعلقة بجداول الأعمال الإقليمية والعالمية، فإن نص إعلان أستانا الصادر عن رؤساء دول منظمة شنغهاي للتعاون، والذي يمثل وثيقة ختامية لمؤتمر قمة أستانا، يحدد الخطوات الأخرى التي سوف تتخذها المنظمة للتصدي للتهديدات التي يتعرض لها السلم والأمن الدوليين.

الأساليب والخطوات العملية نحو تحقيق الأمن والاستقرار:

استناداً إلى الالتزام الصارم بقواعد القانون الدولي المعترف بها عالمياً، وكذلك السعي الدؤوب لتحقيق أغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، فإن منظمة شانغهاى للتعاون تتحلى باعتقاد راسخ بأن هذا القانون هو وسيلة دبلوماسية لا مثيل لها لحل النزاعات. وفي هذا الصدد، تواصل المنظمة دعمها للدور التنسيقي الأكثر وضوحاً للأمم المتحدة في العلاقات الدولية، مع التركيز على مزيد من التطوير للتعاون الوثيق مع تلك المنظمة العالمية.

تم إطلاق عدد من المبادرات الخاصة تحت رعاية الأمم المتحدة ومنظمة شانغهاي للتعاون، والتي أسهمت بدورها بشكل واضح في تعزيز التعاون الدولي لمكافحة التحديات والتهديدات المشتركة للأمن. ومن أمثلة ذلك نتيجة الحدث الخاص رفيع المستوى بشأن "الأمم المتحدة ومنظمة شنغهاي للتعاون: مواجهة التحديات والتهديدات المشتركة"، والذي انعقد في تشرين الثاني/ نوفمبر 2016 في نيويورك، فضلاً عن الحدث الفرعي رفيع المستوى بشأن "الأمم المتحدة ومنظمة شنغهاي للتعاون في مجال مكافحة المخدرات: التهديدات المشتركة والإجراءات المشتركة"، الذي انعقد بالتعاون مع مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة في آذار/ مارس 2017 في فيينا.[28]
وتأتي منظمة شانغهاي للتعاون كأهم منظمة لتأطير العلاقات بين دول آسيا الوسطى وإقليمها القريب وتجمع الصين وروسيا مع دول آسيا الوسطى ما عدا تركمانستان.

لقد كان التوجه العام لدول آسيا الوسطى إبان الاستقلال هو استغلال ضعف موسكو في بناء علاقات قريبة مع الغرب والابتعاد عن السيطرة الروسية، غير أن هذا الحلم لم يتحقق نظرا لعدم ثقة الغرب بالزعامات الجديدة التي

في الحقيقة كانت امتدادا للحقبة السوفياتية المستبدة مما جعلت هذه الدول تقترب من موسكو من جديد خصوصا في حقبة الرئيس فلاديمير بوتين. ومن الملاحظ في هذه الأطر هو تقوقع تركمانستان على نفسها بزعامة رئيسها الراحل صابر مراد نيازوف الذي حكم البلد خلال 15 عاما بفلسفته الخاصة وطريقته الفريدة في الاستبداد وهناك عوامل أخرى لعدم نجاح الأطر الرسمية منها تطلع الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف للعب دور الشرطي في آسيا الوسطى نظرا لموقع أوزبكستان الجيوإستراتيجي التي تتاخم الدول الأربع الباقية والتي تضم أكبر تجمع بشري في المنطقة.

وتشهد هذه الأطر الرسمية اهتماما كبيرا من دول آسيا الوسطى حينما يتعلق الأمر بالأمن الجماعي وخطر الإرهاب والأصولية الإسلامية ويعتبر التعاون الأمني أحد أهم القضايا المشتركة في أجندة الاجتماعات الرسمية لزعماء ومسؤولي هذه الدول.

ويبقى ملف الحدود مفتوحا للنقاش بين بعض دول آسيا الوسطى حيث تم رسمها أثناء الحكم الشيوعي في عشرينيات القرن الماضي وتم توزيع القوميات والعرقيات بشكل يخدم مصالح موسكو آنذاك، غير أن هذه الحدود خلقت مشاكل عديدة بين هذه الدول بعد الاستقلال.

لقد وجد الكثير من القوميات نفسه كأقليات عرقية وقومية مهمشة في معظم الأحيان، مثل الأوزبك في قرغيزستان وكزاخستان وتركمانستان وطاجيكستان، والطاجيك في أوزبكستان والقرغيز في أوزبكستان وطاجيكستان خصوصا في مثلث وادي فرغانة حيث تتلاقى حدود الدول الثلاث معا.

مع أن الخلافات الحدودية واتهامات التدخل في الشؤون الداخلية لم تصل إلى حد الحروب والمعارك بين هذه الدول غير أن العلاقات الطاجيكية الأوزبكية ما زالت تشهد توترا مستمرا تصل لحد غلق الحدود وتبادل الاتهامات بدعم المعارضة المسلحة لكل دولة.

وقد تحددت المجالات التي تتوخى أنقرة التعاون فيها مع منظمة شنغهاي في مجالات مثل الأمن الإقليمي، ومكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة، ومنع الإتجار في المخدرات، والتعاون الثقافي والاقتصادي. وخلال فترة تولي أردوغان رئاسة الحكومة التركية، أشار إلى منظمة شنغهاي باعتبارها التوجه الجديد لأنقرة، فمركز النشاط الاقتصادي العالمي يتجه إلى الشرق، حيث آسيا والباسفيك. كما يعتقد المسؤولون الأتراك أن كثيراً من العلاقات الرسمية مع منظمة شنغهاي ستفتح فرص جديدة تعكس الطموح لتنفيذ سياسة خارجية متعددة الأوجه.

ج- مشروعات البنية التحتية:

أضفت العلاقات التجارية المتنامية بين أوروبا وآسيا زخماً كبيراً على مشروعات البنية التحتية التي تصل بين وسط آسيا وحوض بحر قزوين والبحر الأسود. ومن هذه المشروعات ممر النقل الرابط بين أوروبا ومنطقة القوقاز وآسيا TRACECA، حيث يشمل هذا الممر تركيا وبلغاريا ورومانيا وأوكرانيا، ويهدف إلى إقامة علاقات اقتصادية وخطوط للنقل والتجارة بهدف تسهيل الوصول إلى الأسواق وضمان السلامة المرورية.

وثمة مشروع آخر يربط بين تركيا وجورجيا، وهو مشروع سكك حديد "باكو تبليسي كارز" (BTK)، وخطط له ان يبدا تشغيله في عام 2016، وكمرحلة أولية من هذا المشروع قد يحمل مليون راكب و6 ملايين طن من السلع سنوياً. وبحلول عام 2034، ستُقدر سعته بحوالي 3 ملايين راكب و17 مليون طن من السلع في العام. ويُخطط لأن يصبح المشروع جزءاً متكاملاً من طريق الحرير الحديدي للقرن الحادي والعشرين بهدف تمكين المنتجين في شرق آسيا من الاتصال بالأسواق الأوروبية.

المصالح الصهيونية في اسيا الوسطى :

تسعى إسرائيل إلى النفاذ لدول آسيا الوسطى من خلال إقامة مشروعات عملاقة وتقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية وتكثيف الزيارات الرسمية، كما سعت إلى تنظيم هجرات يهودية من بعض تلك الجمهوريات إلى إسرائيل لاستغلال الموروث الديني في بناء جسور من العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبدأت الوفود الحكومية في إسرائيل بالقيام بزيارات لتلك الدول، وتوقيع الاتفاقيات الاقتصادية معها معبدة الطريق أمام الشركات الإسرائيلية لغزو تلك الجمهوريات، وأنشأت الحكومة الإسرائيلية غرفة للتجارة والصناعة خاصة بالعلاقات مع دول آسيا الوسطى، وأنشأت بنك المعلومات الاقتصادية ودليلًا للمجالات التي يستطيع الإسرائيليون الاستثمار فيها، وسنّت قوانين حماية تلك الاستثمارات والإعفاءات الجمركية والازدواج الضريبي وغيرها، بعد ذلك بدأ سيل الشركات الإسرائيلية والأفراد اليهود من دول كثيرة بالتدفق على تلك الجمهوريات، واستطاع رجال الأعمال هؤلاء فتح مؤسسات ومكاتب تجارية تشتري وتبيع وتستثمر في كل مجال تطاله أياديها، وتركز هذه الشركات أعمالها في مجال الطاقة، المعادن والثروة الباطنية، والزراعة والثروة الحيوانية، والصناعة، والاتصالات، والبنوك والأنظمة المالية والمصرفية، والإدارة والتنمية البشرية، والطب والرعاية الصحية، والفضاء والأبحاث العلمية وغيرها.

ووضعت إسرائيل يدها على مناجم ومصانع في كازاخستان تنتج آلاف الأطنان من اليورانيوم سنويا لتستخدمه في صنع السلاح النووي، وأصبحت إسرائيل مالكا رسميا لمجمع ضخم لمعالجة اليورانيوم يكفي لصنع ترسانة كاملة من الأسلحة النووية كل عام، كما استفادت من قاعدة بايكونور الفضائية الكازاخية في إطلاق أكثر من قمر صناعي. وفي المقابل نقلت الشركات الإسرائيلية تكنولوجيا الري والزراعة والصناعات الغذائية إلى كازاخستان فضلا عن التعاون في مجال تكرير النفط والصناعات الكيماوية[29].

بدأ منذ أواسط التسعينيات تنفيذ برامج اسرائيلية لتدريب رجال المخابرات في تلك الدول على أساليب مكافحة الارهاب ونقل الخبرة الاسرائيلية في مكافحة ما تسميه الدولة الصهيونية الارهاب الفلسطيني، واستمرت الحال على هذا النحو طوال التسعينيات، في ظل اهتمام أمريكي بدعم هذا التوجه وتعزيز التعاون المخابراتي بين اسرائيل ودول آسيا الوسطى، بمشاركة من المخابرات الأمريكية، وخاصة بعد أن بدأت الحركة الأصولية تصطدم بالولايات المتحدة وتوجه الضربات الى مصالحها.

وقد اهتمت إسرائيل منذ وقت مبكر باختراق دول آسيا الوسطى بأكملها، وكانت لديها استراتيجية متكاملة لذلك تعتمد على التركيز في المرحلة الأولى على التغلغل الاقتصادي من خلال رجال الأعمال الصهاينة من جهة وتقديم إسرائيل نفسها كوسيط نشيط لجذب رؤوس الأموال الغربية والأمريكية إلى تلك البلدان وفتح أبواب واشنطن وغيرها من العواصم الغربية أمامها من جهة أخرى. وبعد أقل من ثلاثة أشهر على انهيار الإتحاد السوفييتي كانت إسرائيل قد نظمت في العاصمة الأوزبكية طشقند، أول مؤتمر اقتصادي مشترك بينها وبين دول آسيا الوسطى في مارس 1992 لبحث احتياجات تلك الدول من المشروعات والمساعدات الاقتصادية، والدور الذي يمكن أن تقوم به الدولة الصهيونية في تلبيتها.

وخلال الشهور والأعوام التالية كانت هذه المشروعات قد بدأ يجري تنفيذها بالفعل. وبالنسبة لأوزبكستان فقد قام رئيسها إسلام كريموف بزيارة إلى إسرائيل في أكتوبر عام 1992 حيث تم الاتفاق على تطوير التعاون بين البلدين في شتى المجالات. وشملت المشروعات المشتركة في مجالات تمتد من الري والزراعة والصناعات الزراعية إلى الصناعات السياحية والاتصالات وبناء الفنادق والمقاولات، وباستثمارات إسرائيلية أو مشتركة ساهم فيها رجال الأعمال الجدد من يهود أوزبكستان؟؟

كما قامت إسرائيل بتمويل أمريكي بتنفيذ برامج للتعاون الفني وتدريب الكوادر في

مجالات الزراعة والري خصوصا والإدارة والبنوك، وغيرها من مجالات بناء الدولة الحديثة واقتصاد السوق. وتم افتتاح فرع للوكالة اليهودية سحتوت في العاصمة الأوزبكية طشقند لتنظيم هجرة اليهود الأوزبك إلى إسرائيل وكان عدد هؤلاء يبلغ نحو 120 ألفا تم بالفعل تهجير أكثر من سبعين الفا منهم. كما تم افتتاح مركز ثقافي إسرائيلي في طشقند يعمل بنشاط على الترويج للثقافة والأفكار الصهيونية بين اليهود وغيرهم من مواطني أوزبكستان، فضلا عن تعليم اللغة العبرية. (30)

وهكذا كانت إسرائيل تحقق تغلغلا سياسيا واقتصاديا وثقافيا متزايد الاتساع والعمق في أوزبكستان طوال التسعينيات، وضع أساسا قويا لقيام تعاون أمني واسع النطاق في النصف الثاني من العقد المنصرم، وبرعاية أمريكية. غير أن الكثير من جوانب هذه العلاقات ظل طي الكتمان الى ان بدأ يتكشف في الآونة الاخيرة.

كما وضعت اسرائيل يدها على مناجم ومصانع في كازاخستان تنتج آلاف الأطنان من اليورانيوم سنويا. وأصبحت في عام 2002مالكا رسميا وبصورة نهائية لمجمع ضخم لمعالجة اليورانيوم، ينتج ما يكفي لصنع ترسانة كاملة من الأسلحة النووية كل عام وتم ذلك عندما اشترت شركة سابيتون ليمتد أحد فروع شركة أفريطا ـ اسرائيل انفيستمنت الاسرائيلية القابضة مجمع تسيليفا للتعدين والكيمياء في كازاخستان بكل موجوداته، وهو أحد أكبر مجمعات معالجة اليورانيوم الخام في العالم وبذلك تحصل الدولة الصهيونية على ناتج معالجة 130 ـ 150 طنا من خامات اليورانيوم كل شهر، أي ما يبلغ نحو 1560 ـ 1800 طن سنويا.

وقد اشترت الشركة الاسرائيلية المجمع الكازاخي الضخم، بكل موجوداته بمبلغ 36 مليون تنجي كازاخي، أي ما يعامل ثلاثمئة وثلاثة عشر ألفا وستمئة دولار ـ الدولار يساوي 11 تنجي – مع التزام الشركة بدفع أجور العاملين المتأخرة وقدرها 270 مليون تنجي، أي ما يعادل مليونين وثلاثمئة وخمسين ألف دولار، أي أن الصفقة كلها كلفت اسرائيل 36 مليون تنجي أو ما يعادل مليونين وستمئة وثلاثة وستين ألف دولار. وبالرغم من تفاهة المبلغ فقد تم الاتفاق على دفعه بالتقسيط على سنتين ،وقد بلغت قيمة انتاج مجمع تسيلفيا للتعدين والكيمياء عام 1998 السابق على عقد الصفقة سبعة عشر مليونا ومئة وستين ألف دولار، أي ما يعادل سبعة أمثال قيمة الصفقة كلها!! وما يزيد الشبهات حول هذه الصفقة أن الحكومة الكازاخية قررت إشهار افلاس المجمع وبيعه الى الشركة الاسرائيلية بالرغم من النمو الكبير لانتاجه بنسبة قدرها 39٪ عام 1998 مقارنة بانتاجه في العام السابق مباشرة!!

ومن الضروري هنا الاشارة الى أن الصفقة المذكورة لا تحقق لاسرائيل وضع يدها بالمجان تقريبا على عملية معالجة كمية هائلة من خام اليورانيوم 1800 ـ 1650طن سنويا فحسب، لكنها تتيح لها أيضا السيطرة على مناجم اليورانيوم التي ترسل خاماتها للمعالجة في المجمع. واستفادت اسرائيل من قاعدة بايكونور الفضائية الكازاخية في اطلاق أكثر من قمر صناعي، كان أولها قمر اسرائيلي للأبحاث العلمية والاتصالات تم اطلاقه في يوليو 1998 بواسطة صاروخ روسي. والواقع أن اسرائيل لم تكن لتستطيع الدخول في مجالات حساسة للتعاون مع كازاخستان كالمجال النووي والفضائي والأمني لولا مبادرة الدولة الصهيونية للاعتراف بكازاخستان واقامة العلاقات الدبلوماسية معها بمجرد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق. ففي عام 1992 كانت شركة بيزك الاسرائيلية للاتصالات قد بدأت في تطوير شبكة الاتصالات الكازاخية، وكانت شركة كباليم قد اتفقت على اقامة مصنع للكابلات.

وكانت الهيئات الحكومية الاسرائيلية المهتمة بالزراعة وكذلك الشركات الزراعية قد بدأت في بحث اقامة مشروعات مشتركة ونقل تكنولوجيات اسرائيلية الى كازاخستان في مجال الري والزراعة والصناعات الغذائية، وكانت مجموعة شركة الملياردير الاسرائيلي ـ النمساوي شاؤول إيزينبرج قد اتفقت على عدد من المشروعات المشتركة تبلغ قيمة الاستثمارات فيها أكثر من مليار دولار، في مجالات تمتد من الزراعة الى تكرير النفط والصناعات الكيماوية، وبدأ التنفيذ فعلا أواخر 1992 وأوائل 1993.

ولعل الغاز والنفط والمعادن المشعة، هي أكثر ما يحرّك (الإسرائيليين) بقوة تجاه هذه المنطقة، ويدفعهم للتفكير في كيفية اختراقها والتأثير عليها، والاستفادة منها وحرمان الخصوم والأعداء من فرصة الحصول عليها، خاصة أن إمكانياتها كبيرة، ومخزونها هائل، وأسواقها مفتوحة، وقدرتها على الاستيعاب غير محدودة.

وقد سعت إسرائيل لمحاولة تأمين خط جيهان النفطي وتأمين منابع النفط التي تغذى خط الأنابيب الذي يمتد من أذربيجان، ثم جورجيا حتى ميناء جيهان التركي ثم إلى ميناء عسقلان، وينقل النفط الأذربيجاني والكازاخستاني الذي يزودها بما يقارب 40٪ من حاجاتها النفطية.

وتسعى مستقبلاً لعمل خط أنابيب يصل عسقلان بإيلات على البحر الأحمر، لتصدير النفط من إيلات لدول آسيا كاليابان والهند والصين، لتصبح واحداً من أهم ممرات الطاقة العالمية، مقللة بذلك الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس، ومن الهيمنة الروسية على ممرات النفط، وكذلك إضعاف تأثير روسيا على آسيا الوسطى والقوقاز، وعزل الصين وإيران عن الثروات النفطية لتلك المنطقة. [31]

حلف الناتو ودول اسيا الوسطى :

منذ نهاية عام 2001، برز دور حلف الناتو بوصفه إحدى المؤسسات الرئيسية التي لها دور في شؤون أمن منطقة آسيا الوسطى. ونتج هذا التطور عن تزايد مصالح الحلف وانخراطه النشط في شؤون آسيا الوسطى بعد الهجمات الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر 2001 وتكليف حلف الناتو بمهمة قوات المساعدة الأمنية الدولية (إيساف) في أفغانستان في أغسطس 2003.

غير أن الإجراءات الصارمة التي اتخذتها حكومة أوزبكستان في مايو 2005 في أنديجان قد كشفت عن مدى هشاشة علاقات الحلف مع دول هذه المنطقة. وتبعاً لذلك، فإن حلف الناتو بحاجة إلى مبادرة جديدة لتعزيز وضعه في آسيا الوسطى. وحتى قبل الهجمات على الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر 2001، بدأ الحلف في إشراك حكومات هذه المنطقة في الأمور الدفاعية. ومنذ منتصف تسعينيات القرن العشرين، شاركت جميع دول آسيا الوسطى في مجلس الشراكة الأوروبية ـ الأطلسية التابع لحلف الناتو وبرنامج الشراكة من أجل السلام المرتبط بهذا المجلس (وكان الاستثناء الوحيد هو جمهورية طاجكستان التي انضمت إلى برنامج الشراكة من أجل السلام في عام 2002).

ويوفر مجلس الشراكة الأوروبية ـ الأطلسية وبرنامج الشراكة من أجل السلام الآليات التي تمكّن حلف الناتو وشركاءه من التعاون العملي في المجالات الدفاعية والأمنية بشأن عدد من القضايا المختلفة. ويمثل تعزيز إصلاح المؤسسات الدفاعية وزيادة حجم العمل العسكري المشترك بين المشاركين وقوات حلف الناتو أبرز أهداف برنامج الشراكة من أجل السلام. تضم أنشطة برنامج الشراكة من أجل السلام أيضاً مجالات أخرى، مثل الاستعداد للتعامل مع الكوارث وضبط التسلح وأمن الحدود. كما يمثل التعاون في المجالين العلمي والبيئي جانباً مهماً من جوانب مساهمة الحلف في قضايا المنطقة. وعلى سبيل المثال، فقد ساهم حلف الناتو في تعزيز التواصل عبر الربط بشبكة الإنترنت بين دول آسيا الوسطى والقوقاز في إطار مبادرته التي سُميت "طريق الحرير الافتراضي للمرور السريع Virtual Silk Highway ".

منذ وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، هناك حدثان ساعدا بقدر كبير على توسيع مصالح حلف الناتو وزيادة أنشطته في منطقة آسيا الوسطى. هما :

أولاً، بعد أن أصبحت معظم دول أوروبا الوسطى والشرقية أعضاء في حلف الناتو،

تحـول تركيـز برنامـج الشـراكة مـن أجـل السـلام نحـو تعزيـز الإصلاحـات والتعـاون العسـكري مـع آسـيا الوسـطى وجنـوب القوقـاز وغربـي البلقـان.

ثانياً، أدى إطـلاق عمليـة الحريـة الدائمـة ووجـود قـوات المسـاعدة الأمنيـة الدوليـة (إيسـاف) في أفغانسـتان إلـى زيـادة كبيـرة في حجـم الوجـود العسـكري لحلـف الناتـو في آسـيا الوسـطى. وعندمـا قـام اللـورد روبرتسـون، الأمـين العـام لحلـف الناتـو حينـذاك، بزيـارة إلـى المنطقـة في عـام 2003، صـرّح قائـلاً إن أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر قـد جعلـت الحلـف يـدرك أن "أمننـا مرتبـط بصـورة وثيقـة بالأمـن في مناطـق نائيـة. وسـوف تصبـح آسـيا الوسـطى منـذ الآن بنـداً مهمـاً يشـغل معظـم أجنـدة حلـف الناتـو". وفي قمـة اسـطنبول التـي عُقـدت في يونيـو 2004، أكـد قـادة الحلـف تزايـد أهميـة منطقـة آسـيا الوسـطى، حيـث منحوهـا، إلـى جانـب منطقـة القوقـاز، صفـة منطقـة "تركيـز خـاص" في بيانهـم الختامـي. كمـا قـرروا تعيـين ضابـط ارتبـاط في المقـر الإقليمـي للحلـف في ألمآتـا عاصمـة كازاخسـتان. وتنحصـر المهمـة الأساسـية لضابـط الارتبـاط هـذا في دعـم تنفيـذ برامـج التعـاون والمسـاعدة التـي يقدمهـا الحلـف في هـذه المنطقـة.

وعـلاوة علـى ذلـك، أنشـأت القمـة منصـب الممثـل الخـاص للأمـين العـام لحلـف الناتـو لشـؤون منطقـة آسـيا الوسـطى وجنوبـي القوقـاز (أرمينيـا وأذربيجـان وجورجيـا). وقـام روبـرت سـايمونس Robert Simmons وهـو أول شـخصية تم تعيينهـا في هـذا المنصـب بزيـارات منتظمـة إلـى منطقـة آسـيا الوسـطى لشـرح البرامـج التـي ينفذهـا حلـف الناتـو والكيفيـة التـي تسـاعد دول المنطقـة علـى الاسـتفادة منهـا علـى نحـو أفضـل. كمـا عمـل سـايمونس علـى توعيـة شـعوب دول آسـيا الوسـطى بالمسـاهمات الإيجابيـة للحلـف في الحفـاظ علـى أمـن المنطقـة، مثـل الـدور الـذي يقـوم بـه الحلـف في أفغانسـتان.[32]

تأثير أحداث أنديجان:

شـجع المسـؤولون في حلـف الناتـو الحكومـات الشـريكة للحلـف علـى إدخـال إصلاحـات سياسـية وعسـكرية. وتؤكـد الوثيقـة الإطاريـة لبرنامـج الشـراكة مـن أجـل السـلام التـزام المشـاركين "بالحفـاظ علـى المجتمعـات الديمقراطيـة وحمايـة حريتهـا مـن القهـر والقمـع والتمسـك بمبـادئ القانـون الدولـي". وعندمـا زار الأمـين العـام لحلـف الناتـو الجنـرال يـاب دي هـوب شـيفر طشـقند في أكتوبـر 2004، صـرّح قائـلاً: "نحـن نقـوم بـكل مـا في وسـعنا لحمايـة القيـم الديمقراطيـة علـى وجـه الخصـوص، ونتمنـى أن تؤخـذ هـذه الاعتبـارات في الحسـبان في علاقاتنـا مـع أوزبكسـتان".
وبعد الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة الأوزبكية في أنديجان في مايو 2005،

أصدر مجلس شمالي الأطلسي التابع لحلف الناتو بياناً أدان فيه "الاستخدام الزائد وغير المناسب للقوة من قبل قوات الأمن"، ودعا البيان إلى فتح تحقيق دولي مستقل. وردت الحكومة الأوزبكية بمطالبة القوات الأمريكية بإخلاء المنشآت العسكرية الأوزبكية وفرض إجراءات لتقييد استخدام الحلفاء الآخرين لأراضيها ومجالها الجوي. وينحصر برنامج التعاون بين حلف الناتو وأوزبكستان حالياً على مجموعة من الأنشطة الصغيرة. وعلى الرغم من انهيار العلاقات الأمنية بين أوزبكستان وحلف الناتو والقلق بشأن الأجندة الديمقراطية التي تسعى الدول الغربية لفرضها على دول المنطقة، فإن حكومات دول آسيا الوسطى الأخرى تظل مهتمة بالتعاون مع الحلف. وأفضل نموذج في هذا الخصوص هو كازاخستان، التي وضعت خطة عمل فردية للشراكة وتتعاون بنشاط مع الحلف في القضايا السياسيةوالعسكرية.

غير أنه وفي المحصلة النهائية، فإن استمرار اهتمام الحلف بأولويات أخرى، مقروناً بالإدراك الواسع بأن حلف الناتو لن يُقدم في القريب العاجل على منح عضويته لدول في منطقة آسيا الوسطى مما أدى إلى إضعاف نفوذ الحلف في هذه المنطقة. ولم تحقق الجهود الخاصة بإعادة تنظيم المؤسسات العسكرية في دول المنطقة على النسق المتبع من قبل دول الناتو إلاّ تطوراً محدوداً. وتعاني المؤسسات العسكرية لدول آسيا الوسطى مشكلات مثل المعدات المتهالكة والعقائد والتكتيكات العسكرية القديمة. ولا يزال معظم المسؤولين في دول آسيا الوسطى يعدون العلاقات مع حلف الناتو مجرد وسيلة للحصول على المعدات الغربية بدلاً من أن تكون بديلاً لعلاقاتهم مع منظمة معاهدة الأمن الجماعي التي تهيمن عليها موسكو.

الحوار بين حلف الناتو ومنظمة شنغهاي للتعاون:

قد تعزز إقامة حوار رسمي مع منظمة شنغهاي للتعاون دور حلف الناتو في آسيا الوسطى. ويبرز دور هذه المنظمة بوصفها أكثر التجمعات نفوذاً في آسيا الوسطى. أما أحدث أشكال التعاون الإقليمي فيتمثل في مواجهة ما أسمته دول المجموعة بـ "الشياطين الثلاثة" (الحركات الانفصالية والتطرف الديني والإرهاب). وأعدت في سبيل ذلك تدريبات عسكرية مشتركة. لكن هنا أيضا فشلت موسكو وبكين في مواجهة مخططات الاختراق الخارجي، فحينما اتضح أن الولايات المتحدة تخطط لإبقاء قواتها بالمنطقة لفترة طويلة مقبلة، طالبت بكين وموسكو في قمة شنغهاي في يونيو/حزيران 2005 واشنطن بسحب قواتها من كل من قرغيزستان وأوزبكستان، لكن الولايات المتحدة مانعت واتهمت وسائل إعلامها

روسيا والصين بابتزاز حكومات المنطقة وإرهابها لتفكيك القواعد الأميركية. حاولت المنظمة عام 2006 توسعة نفوذها فوجهت الدعوة لإيران والهند وباكستان للمشاركة في المنظمة بصفة مراقب، واعترضت من جديد الولايات المتحدة. وفي نهاية عام 2006 أعلنت سعيها لتوحيد القوات الجوية بين الدول الأعضاء كخطوة أولى على طريق تشكيل تحالف عسكري مشترك.

وتمثل آسيا الوسطى إحدى المناطق التي تعمل فيها المؤسسات العسكرية لكل من روسيا والصين وحلف الناتو بصورة منتظمة في مناطق متجاورة. ومع ذلك، لا يزال حلف الناتو يفتقر إلى أي علاقات مؤسسية رسمية مع منظمة شنغهاي للتعاون أو الصين.

وفي أعقاب فترة تهدئة بعد قيام الطائرات الحربية التابعة لحلف الناتو في عام 1999 بضرب السفارة الصينية في بلغراد بالخطأ خلال الحملة الجوية في كوسوفو، اجتمع السفير الصيني في بلجيكا مع اللورد روبرتسون، الأمين العام لحلف الناتو حينذاك، في شهر أكتوبر 2002، لمناقشة إقامة علاقة وثيقة بين الجانبين. وأبدى المسؤولون الصينيون اهتماماً خاصاً بفتح حوار ثنائي حول التطورات الاستراتيجية والمهددات الأمنية في منطقة آسيا الوسطى. وفي يوليو 2004، قال الأمين العام لحلف الناتو ياب دي هوب شيفر إن الحلف يريد التعاون مع الصين حول عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك، وهي مكافحة الإرهاب ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل والمحافظة على الاستقرار الإقليمي، وبخاصة في أفغانستان والعراق. غير أن هذه التعبيرات عن المصالح المشتركة لم تؤدِّ إلى أي تطور واضح. وعلى خلاف اليابان، لم يكن لدى الصين حتى مجرد "شراكة للحوار" مع حلف الناتو. وفي مقابل إقامة علاقات رسمية مع الصين، أضحى بإمكان أعضاء حلف الناتو أن يصروا على ضرورة الاطلاع والمشاركة بقدر أكبر في أنشطة منظمة شنغهاي للتعاون. ومقابل ذلك، أصبح بوسع حلف الناتو أن يمنح منظمة شنغهاي للتعاون صفة "الشريك العالمي" لتأكيد أهمية التعاون الأمني المشترك. وفي الإعلان الصادر عن قمة الأستانة في يوليو 2005، أقرت حكومات منظمة شنغهاي للتعاون القيام بجهود مشتركة للتعامل مع الطوارئ والكوارث، وذلك ضمن الفقرة التي تأتي مباشرة بعد الفقرة التي تدعو أعضاء التحالف في أفغانستان إلى وضع جدول زمني لإنهاء استخدامهم للقواعد العسكرية في دول آسيا الوسطى.[33]

كما أن إقامة حوار رسمي بين حلف الناتو ومنظمة شنغهاي للتعاون تفتح المجال

أمام تبادل وجهات النظر بشأن التحول الديمقراطي والتطرف الديني والموضوعات الأخرى ذات الاهتمام المشترك. كما أن التعاون في مشروعات محددة في مجالات أمن الطاقة وانتشار أسلحة الدمار الشامل ومكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات والاتجار بالبشر جميعها عوامل سوف تساعد على تجنب الدخول في منافسة ذات عواقب وخيمة بين القوى العظمى في آسيا الوسطى، وتعزز قدرة المؤسسات على معالجة التحديات المعقدة العابرة للحدود، والتي تواجهها منطقة اسيا الوسطى. وفي السنوات القادمة، سوف تزداد أهمية منطقة آسيا الوسطى بالنسبة إلى حلف الناتو. وعلى الرغم من أن هذه المنطقة تفرض تحديات كبيرة على حلف الناتو، فإنها توفر فرصاً للتعاون الواسع الذي قد يساعد حلف الناتو على استكمال عملية التحول والتحديث المتواصلة والاستعداد لمعالجة المهددات الأمنية المستجدة في القرن الحادي والعشرين.

الفصل السادس

القواعد العسكرية الاجنبية في آسيا الوسطى والقوقاز

الفصل السادس

القواعد العسكرية الاجنبية
في آسيا الوسطى والقوقاز

نظرا للاهمية الجيوستراتيجية التي تتمتع بها منطقتي اسيا الوسطى والقوقاز، فقد أدى ذلك الى تنافس الدول الطامعة في الحصول على موضع قدم فيها عن طريق إقامة قواعد عسكرية على أراضي تلك الدول وفيما يأتي توضيحا لتلك القواعد :

1- العسكرية القواعد الروسية:

يوجد في طاجيكستان قاعدتان لروسيا هما:

قاعدة دوشنبه:

حصلت عليها روسيا بعد اتفاقية أمنية مع طاجيكستان عام 2004 ويتمركز فيها نحو 5000 جندي روسي. ويستخدمها الروس قاعدة لمكافحة ما يسمى الإرهاب ومواجهة هجمات من يصفونهم بالمتطرفين.

قاعدة كيولياب:

تتمركز فيها وحدة عسكرية روسية وتبعد نحو 300 كيلومتر إلى الجنوب من العاصمة الطاجاكية دوشنبه، و100 كيلومتر من الحدود الأفغانية، هذه القاعدة مجهزة لتسع 50 طائرة عسكرية بما في ذلك المروحيات. (1)

وفي كازاخستان:

تتجه الأنظار نحو بايكونور، في قلب السهوب الكازاخية، حيث يوجد أكبر مركز فضائي كان قد انشا أيام الاتحاد السوفيتي ،تستغله روسيا خارج أراضيها، فهناك اتفاقٌ بين موسكو وأستانا تم بموجبه تأجير هذه المحطة الفضائية ذات الطابع العسكري لروسيا، لغاية العام 2050، وهو يكلف روسيا 115 مليون دولار سنويًا.

إلا أن هذا الحق الامتيازي مهدَّد اليوم بالخطر، لأن كازاخستان تطالب الآن بحقها في المزيد من السيطرة على بايكونور، وتتمنى إطلاق برنامجها الفضائي الخاص بها. لكن الكرملين لن يقبل بهذه السهولة بأن يفقد «محطته» الإستراتيجية هذه، ولا شك أن التوترات المتصاعدة ستضع الدبلوماسية ما بين الدولتين في اختبار عويص. (2)

أما في قيرغيزستان:

فـان موسـكو تحتفـظ بقاعـدة عسـكرية في «كانـط» في شـمال قيرغيزسـتان، وبعـد الجـلاء الاضطـراري لقـوات حلـف شـمال الأطلسـي عـن قاعدتهـا بالقـرب مـن العاصمـة القيرغيزيـة بشـكيك، والـذي شُـرع فيـه في أكتوبـر 2013 سـتظل القاعـدة الروسـية هـي القاعـدة الأجنبيـة الوحيـدة في هـذا البلـد. وقـد وقعـت روسـيا مـع قيرغيزسـتان اتفاقيـة تسـمح الأخيـرة بموجبهـا للطائـرات الحربيـة الروسـية بالهبـوط في قاعـدة كانـط الجويـة في منطقـة بشـكيك عاصمـة قيرغيزسـتان وتعتبـر أول قاعـدة جويـة خالصـة في المنطقـة، حيـث تحتـوي علـى وجـود عسـكري بـري وجـوي روسـي مكثـف. (3)

وفي طاجيكستان:

فـان اكبـر القواعـد الروسـية البريـة خـارج أراضيهـا أنشـأت في طاجيكسـتان هـي القاعـدة العسـكرية الروسـية الـ201 هـي أكبـر قاعـدة عسـكرية خـارج روسـيا ترابـط وحداتهـا في عاصمـة طاجيكسـتان دوشـانبه ومدينـة كرغـان توبـه (4).

تمتلـك روسـيا حاليـاً قواعـد عسـكرية في طاجيكسـتان وأرمينيـا وقيرغيزيـا وبيلاروسـيا. ويرتبـط انتشـار هـذه القواعـد العسـكرية الروسـية بتجهيـز جيـوش الـدول المذكـورة أعـلاه بالسـلاح والعتـاد العسـكري الروسـي. ففـي العـام 2013، قـررت موسـكو تكثيـف تسـليح طاجيكسـتان وقيرغيزيـا. والهـدف مـن هـذه الخطـوة الروسـية كان منـع واشـنطن مـن تعزيـز مواقعهـا في بعـض جمهوريـات آسـيا الوسـطى السـوفياتية السـابقة، حيـث جـاءت بعدمـا أغلقـت قيرغيزيـا القاعـدة الأميركيـة في «مانـاس»، وسـمحت بالوجـود العسـكري الروسـي الطويـل الأمـد فيهـا

ووافقـت طاجيكسـتان، في الفتـرة نفسـها، علـى اتفاقيـة تمديـد مُرابَطـة القاعـدة العسـكرية الروسـية في أراضيهـا حتـى العـام 2042. واكتسـبت هـذه الخطـوة الروسـية تجـاه هذيـن البلديـن أهميـة بسـبب تأرجـح أوزبكسـتان، في عهـد الرئيـس السـابق إسـلام كريمـوف، في علاقاتهـا بـين روسـيا والولايـات المتحـدة. وارتبطـت أيضـاً بمـا تسـرب مـن معلومـات آنـذاك عـن تفكيـر كازاخسـتان، حيـث لا تُوجـد قواعـد عسـكرية روسـية، في منـح قاعـدة عسـكرية لواشـنطن في مينـاء «أكتـاو» الاسـتراتيجي الواقـع علـى بحـر قزويـن. ويُعـد هـذا المينـاء الأكثـر قربـاً مـن روسـيا مـن بـين جميـع الموانـئ والمطـارات الواقعـة في الـدول المُشـاطئة لبحـر قزويـن.

ويـرى الـروس أن المُرابطـة العسـكرية الدائمـة للولايـات المتحـدة في «أكتـاو»، حيـث تقـع

حقول كبيرة للنفط والغاز، سوف تسمح لواشنطن بتقوية نفوذها وتأثيرها بشدة في قزوين وآسيا الوسطى. غير أن هذا التفكير من قبل كازاخستان لم يجد طريقه نحو التنفيذ حتى وقتنا الحاضر.

لم تقتصر محاولات روسيا للتمدد عسكرياً على منطقة آسيا الوسطى السوفياتية السابقة، بل امتدت إلى جنوب القوقاز أيضاً. فبعد الحرب الروسية ـ الجورجية في 2008، اعترفت موسكو باستقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية عن جورجيا، وأقامت قواعد عسكرية هناك.

وفي اذربيجان :

أقدمت موسكو على تعزيز التعاون العسكري مع أذربيجان من خلال عقد بنحو مليار دولار لبيع الجيش الأذربيجاني أسلحة ومعدات عسكرية روسية. وهذا بهدف وضع باكو، بدرجة ما، تحت التأثير الروسي، خاصة في ظل ميلها نحو الغرب وحلف «الناتو»، علماً بأن موسكو طلبت من باكو في تسعينيات القرن الماضي إقامة ثلاث قواعد عسكرية روسية على الأراضي الأذربيجانية، إلا أن باكو رفضت ولا تزال ترفض هذا الطلب (5).

وتؤكد روسيا أن القواعد العسكرية الروسية في آسيا الوسطى والقوقاز هدفها تأمين والدفاع عن الحدود الجنوبية لروسيا وجيرانها .وأبرز الترتيبات الأمنية التي اتخذتها دول آسيا الوسطى مع روسيا، الدخول في منظمة شنغهاي للتعاون، ومجموعة جوام، ومبادرة التفاعل وإجراءات بناء الثقة في آسيا.

2. القواعد العسكرية الامريكية:

بدأت واشنطن في تدعيم وجودها العسكري في المنطقة، وقامت بتوقيع عدد من الاتفاقيات لإقامة قواعد عسكرية في بعض الجمهوريات، ومنها قيرغيزستان، وأوزبكستان، لاستخدامها في حربها ضد طالبان والقاعدة في أفغانستان، ولتدعيم النفوذ والحضور الأمريكي في المنطقة.

قاعدة ماناسا الامريكية:

تبعد القاعدة نحو 30 كيلومترا عن بيشكيك عاصمة قرغيزستان، و480 كيلومترا عن الحدود الصينية، و640 كيلومترا عن الحدود الأفغانية. وتعتبر قاعدة ماناس من بين أهم ست قواعد أميركية. وقد اختارها الأميركيون عام 2001 لطول مدرجها

البالغ 4270 مترا ويعد المدرج الأطول في البلاد. ويمكن للقاعدة استقبال طائرات الشحن الأميركية طراز سي 5 غلاكسي وكذلك طائرات 747 والرحلات الدولية. وتبلغ مساحتها 129 ألفا و500 متر مربع. وتحتاج الطائرات إلى 90 دقيقة انطلاقا من قاعدة ماناس إلى مسرح العمليات العسكرية في أفغانستان.

تستأجر واشنطن هذه القاعدة منذ عام 2001 بقيمة 150مليون دولار سنويا حسب بيان صادر عن السفارة الأميركية في بشكيك.ويستخدم قرابة 1000 جندي أميركي، غالبيتهم من سلاح الجو، القاعدة في عمليات الإحلال والاستبدال وإعادة التزود بالوقود فضلا عن شحن المؤن إلى القوات الأميركية الموجودة في أفغانستان. (6)

لكن مرحلة التوسع الاميركي في المنطقة التي ارتبطت بالوجود العسكري القوي في افغانستان قوبلت بنشاط روسي محموم لتضييق الخناق على الاميركيين توّج نهاية عام 2013 بقرار قيرغيزستان اغلاق قاعدة «ماناس» الجوية والطلب من الاميركيين مغادرتها.

ولم تخف واشنطن خيبة أملها بسبب قرار قيرغيزستان اغلاق قاعدة «ماناس»، اذ كانت تعول على إبقاء جنودها في هذه القاعدة لسنوات طويلة مقبلة، على رغم المخاوف من التقلبات التي قد تهدد الاستقرار السياسي في بلد متوتر اصلاً وشهد سلسلة ثورات وحركات تمرد. وكانت السفيرة الأميركية فى قرغيزستان أعلنت أن إخلاء القاعدة وتسليمها الى الجانب القيرغيزي سيتمان قبل حلول نهاية شهر يوليو، علماً أن المهلة التي منحتها الحكومة القيرغيزية للجانب الأميركي انتهت في 11 تموز (يوليو) من عام 2014.

يرى الباحث الأميركي بمجلس العلاقات الخارجية الأميركي، جيمس غرانت، أنه "لا غنى للولايات المتحدة عن دخول دول منطقة حوض بحر قزوين وبناء علاقات وطيدة لواشنطن معها". كما يقول إن "بناء مركز نفوذ للولايات المتحدة في آسيا الوسطى سيساعد إدارة بايدن لتحقيق أهدافها في أفغانستان دون تدخل عسكري لمحاربة الإرهاب، كما ستكون ذات فائدة قصوى لنجاح الاستراتيجية الأميركية في محاصرة النفوذ الصيني الروسي في آسيا ومحاصرة إيران. ويرى أن "فراغ النفوذ" الذي تركه الانسحاب الأميركي من أفغانستان يمكن تعويضه من خلال دخول أميركا دول آسيا الوسطى عبر التجارة والاستثمار ومشاريع تحديث البنى التحتية وتطوير الأسواق. (7)

قاعدة كارشي:

كانت قاعدة سوفياتية سابقة، وتبعد نحو 200 كيلومتر عن الحدود مع أفغانستان. استخدمها الأميركيون منذ أواخر 2001 لتقديم الإسناد الجوي لعملياتهم في أفغانستان. كان يتمركز فيها نحو 1000 عسكري أميركي قبل أن تلغي أوزبكستان اتفاقية استخدامها مع واشنطن أواخر 2005.

العودة الامريكية إلى «خان أباد» في اوزبكستان:

على رغم التغطية على مضمون المحادثات التي تجريها الوفود الامريكية الزائرة إلى طشقند، لكن اللافت أن الزيارات المتعاقبة قام بها مسؤولون من المستويين العسكري والسياسي – الدبلوماسي، وتشير تسريبات إلى ان الطرفين باتا قريبين جداً من التوقيع على اتفاق بشأن عودة الأميركيين إلى اوزبكستان.

علماً أن الوجود العسكري الاميركي في هذا البلد كان قد بدأ في العام 2001 عندما تمركزت القوات الاميركية في قاعدة «خان اباد» الاستراتيجية قبل ان يغادروها في العام 2005 بسبب انتقادات وجّهتها الادارة الاميركية الى نظام الرئيس اسلام كريموف الذي قمع بعنف تمرداً في منطقة انديجان، الذي كانت شرارته قد انطلقت في أيار (مايو) 2005 من منطقة انديجان امتدت الى مناطق شرق اوزبكستان، واتخذت أبعاداً إثنية وقالت السلطات انها كادت ان تتحول حرباً اهلية واسعة النطاق، وأسفر التدخل العنيف من جانب الجيش عن مقتل وجرح الآلاف، قبل ان يسيطر على الوضع، وحوكم في وقت لاحق مئات الاشخاص بتهم تدبير انقلاب عسكري.

في ذلك الوقت انتقدت واشنطن بقوة قرار «الحسم العسكري» وتحدثت عن انتهاكات جسيمة ارتكبتها السلطات، ما ازعج الرئيس اسلام كريموف الذي كان متوجساً من تكرار سيناريو «الثورات الملونة» في بلده، واتخذ قراراً سريعاً بعد التشاور مع الروس بإلغاء اتفاق طويل الامد للوجود العسكري الاميركي في قاعدة «خان اباد»

وكانت الولايات المتحدة انجزت عمليات تحديث واسعة في القاعدة اشتملت على إنشاء بنى تحتية ومد مدرجات حديثة للهبوط والإقلاع، وتزويد القاعدة بوسائل اتصالات متطورة، وباتت «خان أباد» تعد الأضخم والأكثر تطوراً بين القواعد العسكرية في المنطقة، ورابط فيها بشكل دائم نحو 30 طائرة ضخمة مخصصة للشحن والإمداد ومقاتلات من طراز أف 15 وأف 16 ونحو 1300 جندي. (7)

ويعتبر البعض ان تحركات واشنطن الحالية لإعادة الاعتبار الى علاقاتها مع اوزبكستان تكتسب بعداً استراتيجياً في اهميته ليس فقط بسبب مسألة الانسحاب من افغانستان بل وللتأسيس لوجود سياسي وعسكري قوي وطويل الامد في المنطقة هذه المرة.

وان واشنطن تدرس مع الجانب الاوزبكي حالياً خيارات عدة، وبالإضافة إلى قاعدة «خان أباد» يجرى الحديث عن قاعدة «تيرميز» على الحدود الاوزبكية- الأفغانية ومطار «نوفاي» العسكري. ويرى الخبير أن واشنطن تضع جهدها الاساسي لاستعادة «خان اباد».

3. القواعد العسكية الصينية:

تعتبر الصين من أوائل الدول التي اعترفت بدول آسيا الوسطى بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي السابق، وأقامت معها علاقات دبلوماسية قوية وتبادلت معها الزيارات الرسمية، وبدت ملامح السياسة الصينية الجديدة تجاه هذه المنطقة عام 1996، حينما تحركت بكين لإيجاد إطار رسمي يربطها بالمنطقة، فجاءت فكرة منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي بالتعاون مع روسيا وكل من كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان، والتي انضمت إليها أوزبكستان عام 2001.

الوجود العسكري الصيني:

ووفقا لدورية «ستراتفور» لتحليل المعلومات، في 28 أيلول/ سبتمبر 2020، فإن بكين أعلنت نيتها إقامة عدة مواقع عسكرية جديدة على الحدود الأفغانية والطاجيكية، لتوسيع وجودها العسكري خارج حدوها(8).

وتضاف هذه المواقع إلى أخرى بنيت في وقت سابق هذا العام. ورأت الدورية الأميركية أن الإعلان الصيني يظهر اهتمام بكين في آسيا الوسطى، حيث تتصادم الأولويات الأمنية للصين و منافستها روسيا في هذه المنطقة، فضلا عن تهديدات المنظمات الإرهابية. وأبدت الصين قلقها مرارا من حالة انعدام الاستقرار والاضطرابات التي تشهدها المنطقة، وتزايد القلق مع توسع المصالح الصينية خاصة تلك المتعلقة بالطاقة والبنى التحتية في منطقة أوراسيا. وقالت الدورية أيضا إن القلق على الأصول المتزايدة دفع الصينيين إلى تعزيز تعاونها مع دول آسيا الوسطى في المجال العسكري، إذ أجرت مناورات مشتركة مع قيرغيزستان. وأشارت إلى الصين أوجدت في آب/ أغسطس الماضي آلية تنسيق رباعي في المنطقة تضم إلى جانب الصين، باكستان وأفغانستان وطاجيكستان. وتضطلع الآلية بمراقبة

الأنشطة الإرهابية في المنطقة وتعزيز التعاون الاستخباري وإجراء تدريبات عسكرية مشتركة. وكانت الصين قد ابرمت في عام 1999 سلسلة من الاتفاقيات لإعادة رسم الحدود المشتركة مع دول المنطقة (9)

أن التغلغل الاقتصادي الصيني ساعد على تحجيم النفوذ الأمريكي في آسيا الوسطى، كما تمثل في إغلاق القاعدة الأمريكية في أوزبكستان عام 2006 وكذلك مراجعة عقد إيجار القاعدة الأمريكية في قرغيزستان، ثم الدعوة الرسمية لمنظمة شنغهاي في 2006 لإغلاق القواعد الأمريكية في آسيا الوسطي. ومن جهتها نجحت منظمة شنغهاي في استقطاب دول آسيا الوسطى بشكل كبير ضد التوجهات الغربية التي تسعى لفرض أجندتها على الأنظمة التي لا تريد الخضوع لضغوط الغرب فيما يتعلق بملفات حقوق الإنسان والديمقراطية، فكثيرا ما يعلن زعماء آسيا الوسطى تصريحاتهم ضد الانتقادات الغربية والأمريكية من العاصمة الصينية بكين(10)

4. القاعدة العسكرية الهندية:

للهند قاعدة عسكرية هي قاعدة فارغور وتبعد نحو 97 كيلومترا عن العاصمة الطاجاكية دوشنبه، وهي أول قاعدة عسكرية هندية خارج الهند. تأسست أواخر عام 2002. ويتمركز فيها سربان من المقاتلات الروسية الصنع طراز ميغ 29. (11)

5. القاعدة العسكرية الفرنسية:

لسلاح الجو الفرنسي كذلك قاعدة أسسها في دوشنبه عام 2001 ضمن ما سمي "عملية الحرية الدائمة" التي استهدفت القضاء على حكومة طالبان في أفغانستان، وتوجد في هذه القاعدة طائرات من طراز سي 160 وسي 130، ومخصصة في الوقت الحالي بتقديم عمليات الإسناد للقوات الدولية الموجودة في أفغانستان. (12)

6. القاعدة العسكرية الألمانية:

عقدت ألمانيا مع أوزبكستان اتفاقا يقضي بتخصيص القاعدة العسكرية بترمذ لقواتها العسكرية. وتقع القاعدة جنوبي أوزبكستان، وتستخدمها ألمانيا منذ مطلع 2002 لإسناد قواتها ضمن حلف الناتو في أفغانستان. (13)

المصـــادر والمراجـــع

المصادر والمراجع

مصادر الفصل الأول:

(1) د. مصباح الله عبد الباقي، آسيا الوسطى والقوقاز ..الأهمية الاستراتيجية والواقع السياسي والاجتماعي، موقع على الاترنيت .

(2) الملف السياسي ـ حقائق وأرقام ـ آسيا الوسطى والقوقاز، تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية، موقع على الاترنيت .

(3) صفحة كازاخستان في خريطة الشارع المفتوحة4" . OpenStreetMap.

(4) Kyrgyzstan,The World fact ookhttps://www.cia.gov/cia/publications
www. almrsal. Com

(5) Uzbekistan, The Columbia Encyclopedia http://www.infoplease.com/ipa/A0108128.html,

(6) Turkmenistan 2000-2004, National Institute of State Statistics and Information of Turkmenistan, Ashgabat, 2005.

(7) كتاب حقائق العالم Economy of Tajikistan, نسخة محفوظة 28 يناير 2018 على موقع واي باك مشين.

https://www.cia.gov/cia/publications/factbook/geos/ti.html

(8)-Tajikistan, Country Studies-Library of Congress
http://lcweb2.loc.gov/frd/cs/profiles/Tajikistan.pd

(9) Meaning of Caucasus", www.infoplease.com, Retrieved 2017. Edited.

(10) Solomon Bruk, Nikolay Gvozdetsky, Lewis Owen, "Caucasus"، www.britannica.com, Retrieved 18-10-2017. Edited.

(11)"Caucasus Mountains", www.newworldencyclopedia.org, Retrieved 11-12-2017. Edited. 12– georgiatoday.ge صحيفة جورجيا اليوم

(12)The Constitution of the Republic of Armenia, Article .

(13)"The World Fact Book - Armenia". Central Intelligence Agency. ا

15 -h ttp://data.worldbank.org/indicator/SL.UEM.TOTL.ZS

(14) – "صفحة أوسيتيا الشمالية–ألانيا في ميوزك برينز." . MusicBrainz area ID.

24-11-2017. Edited. ب أ(The Editors of Encyclopædia Britannica,
"Chechnya - Land"، www.britannica.com,
(15) Retrieved 24-11-2017. Edited. ^ "Chechnya –
(16) -Demographics", www.newworldencyclopedia.org, Retrieved -2017. Edited. ↑ "Chechnya -
(17) -Culturewww.newworldencyclopedia.org, Retrieved 2017. Edited. ↑ Azza Rezke (6-8-2017)، "
24-11-2017. Edited. ب أ18- The Editors of Encyclopædia Britannica,
"Chechnya - Land"، www.britannica.com,
19-Retrieved 24-11-2017. Edited. ^ "Chechnya –
20-Caucasus: A Journey to the Land Between Christianity and Islam
By Nicholas Griffin
(21) -Caucasian Review of International Affairs - an academic journal on the South Caucasus) RJuly 10, 2003
Constitution of the Republic of Dagestan (22)
مركز كارنيجي للشرق الأوسطThe Carnegie Middle East Center

(23) Welcome to North Ossetia (by Toma Kulayeva
(24) "صفحة قراتشاي – تشيركيسيا في ميوزك برينز". MusicBrainz area
on the South Caucasus)
RJuly 10, 2003 - Constitution of the Republic of Dagestan (25)
مركز كارنيجي للشرق الأوسط - The Carnegie Middle East Center (26)
Welcome to North Ossetia (by Toma Kulayeva (27) -
(28) "صفحة قراتشاي – تشيركيسيا في ميوزك برينز". MusicBrainz area

مصادر الفصل الثاني:

(1) الفتح الإسلامي لما وراء النهر"، www.wikiwand.com، اطّلع عليه بتاريخ 07-06-2019.

(2) الكتبي: عيون التواريخ، مخطوط ورقة رقم 51، نقلاً عن: مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ص100.

(3) أحمد توني عبد اللطيف: "الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك"، مؤتمر: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، 28 - 30 سبتمبر، 1993م، المجلد الثاني ص 57 .

(4) ابن كثير: البداية والنهاية 8/ 78، و الذهبي: تاريخ الإسلام 1/ 521 .

(5) مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ص 102، 103

(6) البلاذري: فتوح البلدان 3/ 517 .

(7) احمد عادل كمال ،الجمهوريات الإسلامية باسيا الوسطى منذا الفتح الإسلامي حتى اليوم ،دار اسلام للطباعة والنشر ،القاهرة ، 2006 ،ص21-22 .

(8) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك ص 105.

(9) سعيد أحمد سلطان: محنة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز ص43، 44.

(10) الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك 2/ 26 .

(11) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى ص 157 .

(12) مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ص 108 .

(13) اطلس الإسلام ، ص231

(14) محمود شاكر ،التاريخ الاسلامي

(15) انتشار الإسلام في وسط اسيا وبلاد القوقاز

(16) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك 2/ 27.

(17) Jeremy "The rise of Russian Muslims worries Orthodox Church". The , Times. مؤرشف من الأصل في 11 أغسطس 2011. اطلع عليه بتاريخ 22 مايو

(18) ليلى حمدان ،اسيا الوسطى ، قصة الإسلام في بلاد ما وراء النهر - الجزء الاول،الإسلام في اسيا ،ج1 ،منشور على الانترنيت بتاريخ ، -15سبتمبر ، 2020

(19) ليلى حمدان ، آسيا الوسطى: قصة الإسلام في بلاد ما وراء النهر – الجزء الثاني ،الإسلام في اسيا ،ج2 ،منشور على الانترنيت بتاريخ ، –16سبتمبر ، 2020 .

مصادر الفصل الثالث :

(1) سعيد عبد الرزاق ، آسيا الوسطى منشأ الشعوب التركية (الترك) أخبار دولية وعربية – الشرق الأوسط ، 18–8 2018–

(2) آسيا الوسطى والقوقاز .. تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية، 25 يناير ،2002

http://www.albayan.ae/one-world/2002-01-25-1.1282200

(3) وكالة الإستخبارات المركزية. (2014). كازاخستان. في كتاب حقائق العالم

(3)https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/kz.html 2013 -

(4) احمد عادل كمال ،الجمهوريات الإسلامية باسيا الوسطى منذا الفتح الإسلامي حتى اليوم ،دار اسلام للطباعة والنشر ،القاهرة ، 2006 ،ص60.

(5) فلاديمير مينورسكي؛ "Minorsky, V. "Ādharbaydjān (Azarbāydjān). Encyclopaedia of Islam. Edited by

(6) أحمد رشيد، (جهاد: اسلام پيكار جو در اسياي مركزي) "الجهاد: الإسلام المحارب في آسيا الوسطى"، ترجمة جمال آرام (طهران - إيران عام 1387ه ش).

(7) مجموعة مؤلفين ،الشعوب الإسلامية في القفقاس وروسيا واسيا الاوسطى ،، موسوعة ،نرجمة طه الولي ،دار علاء الدين ، دمشق ،2009 .

(8) الحركات والجماعات الجهادية في آسيا الوسطى، مركز السكينة للبحوث والدراسات، 2012/02/11:

http://www.assakina.com/center/parties/12884.html

(9) محمود عاطف ،سكان أرمينيا – معلومات متنوعة عنهم ،منشور على الانترنيت ،2019 .

مصادر الفصل الرابع:

(1) – دول آسيا الوسطي: المجال الحيوي والإستراتيجي لخارطة الصراع ، 25 نوفمبر 2008 ،

(2) – إبراهيم عرفات ، آسيا الوسطى التنافس الدولي في منطقة مغلقة، السياسة الدولية، عدد 167، يناير 2007، ص 125.

(3) صلاح الصيفي ، بترول بحر قزوين وصراع القوى الكبرى ، 5 يونيه 2007 .http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-58-9444.htm

(4) – مدحت أيوب ، بؤر التوتر الإقليمي في آسيا الأسباب والحلول، السياسة الدولية، عدد 167 ، يناير 2007 ، ص 131 .

(5) – عبدالله فلاح عودة، التنافس الدولي في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة –1991 2010، عمان ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، 2011 ، ص 60.

(6) –باليهار سانجيرا، والميرا ساتيبالديفا ، الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة اسيا الوسطى، theconversation ، منشور في 29–6–2018 على الانترنبت .

(7) هل تنجو آسيا الوسطى من أطماع الدول العظمى ، 1 إبريل 2009،

(8) موسى مهدي، بعد الانسحاب من أفغانستان... أميركا تعد استراتيجية لدخول آسيا الوسطى من بوابة المال ،العربي الجديد ،–31 أغسطس – 2021

(9) محمد احمد سليم ،التحولات العالمية والتنافس الدولي على اسيا الوسطى ،مركز الدراسات الاسيوية ، جامعة القاهرة ،1998 – ص315 .

(10) –خط أنابيب روسي يهدد مشروع نابوكو لنقل غاز دول بحر قزوين للاتحاد الأوربي، جريدة القدس ، 28 مايو 2013

(11) د .مصباح الله عبد الباقي ،اسيا الوسطى والقوقاز – الأهمية الاستراتيجية والوقع السياسي والاجتماعي ، منشور على الانترنيت في –24سبتمبر 2013

(12) أمريكا تعزز دعمها لآسيا الوسطى بعد أزمة القرم ، 29 مارس 2014

http://www.albawabhnews.com/487751

(13) Charles William , America Discovers Central Asia, April 2003

www.foreignaffairs.com/articles

(14) – عبد الله صالح، أنابيب النفط تشعل الصراع في آسيا الوسطى 5، أغسطس2005 ، http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=69

(15) –خط أنابيب غاز روسي يهدد مشروع نابوكو، 28 مايو 2013

45/www.iiss.org/publications/the-military-balance

مصادر الفصل الخامس :

(1) إبراهيم عرفات ، آسيا الوسطى التنافس الدولي في منطقة مغلقة، السياسة الدولية، عدد 167، يناير 2007، ص 125.

(2) طه مجدوب ،احتمالات الصراع في اسيا الوسطى والقوقاز وتوازن القوى ، رؤية ستراتيجية ، ملفات الاهرام ،42244 ،، 4 اغسطس ،2009 .

(3) عبد الله صالح، أنابيب النفط تشعل الصراع في آسيا الوسطى 5، أغسطس2005 ، http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=6917

(4) دول آسيا الوسطي: المجال الحيوي والإستراتيجي لخارطة الصراع ، 25 نوفمبر 2008 ، http://www.empressoffice.com/ar/index.php?news=2830

(5) أمريكا تعزز دعمها لآسيا الوسطى بعد أزمة القرم ، 29 مارس 2014

http://www.albawabhnews.com/487751

(6) Charles William , America Discovers Central Asia, April 2003 ,

www.foreignaffairs.com/articles

(7) رائد جبر، خطوات لتعزيز النفوذ الامريكي في اسيا الاوسطى مع اقتراب الانسحاب من افغانستان، موسكو، 4 يوليو 2014 .

(8) استراتيجية الولايات المتحدة تجاه منطقة اسيا الوسطى، بحث على الانترنيت، 15 فبراير 2018

(9) محمود السيد، دول آسيا الوسطى و الأطماع الغربية، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003)، ص241.

(10) وزارة الخارجية الأميركية مقتطفات من "استراتيجية الولايات المتحدة لآسيا الوسطى بين أعوام 2019 ـ 2025 ، منشورة على موقعها .

(11) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، أبريل 2016 ، المصدر نفسه

(12) مروة نظير، روسيا في محيطها جيوبوليتيكا المصالح لا النفوذ، 14 أكتوبر 2009، http://www.islamonline.net/servlet/Satellite

(13)طه عبد الواحد، خطوات روسية استباقية للحفاظ على النفوذ في آسيا الوسطى، جريدة النور ، 11 فبراير 2009

(14) روسيا وآسيا الوسطى.. نحو التكامل الحقيقي، 24 مايو 2012 : /http://arabic.rt.com/prg/telecast/657355

(15)خط أنابيب غاز روسي يهدد مشروع نابوكو، 28 مايو 2013

45/www.iiss.org/publications/the-military-balance

(16) خط أنابيب روسي يهدد مشروع نابوكو لنقل غاز دول بحر قزوين للاتحاد الأوربي، جريدة القدس ، 28 مايو

(17)- Richard Auty, Energy, Wealth and Governance in the Caucasus and Central Asia Lessons Not Learned , (London : Routledge, 1 edition, 2006 (,p 4 .

(18) محمد نجيب السعد، آسيا الوسطى: ساحة صراع وتنافس دولي، موقع جريدة الوطن العُمانية، 12 سبتمبر 2015، على الرابط التالي: http://alwatan.com/details/76453

(19) عمار ديوب ، منشور على الانترنيت ،20 أكتوبر ،2020

(20) CNN نشر على الانترنيت في 1 أكتوبر 2020 شاهد مقطع فيديو ذات صلة

(21) Nagorno –Karabakh ,Euaop,s post, soviet Forzen war يناير 2020

(22) فانس 24نشر على الانترنيت في 1 أكتوبر 2020

(23) احمد حسان عرنوس ، الاهمية الجيوستراتيجية لمنطقة اسيا الوسطى في ميزان التنافس الدولي والاقليمي ، مجلة اتجاهات سياسية ، العدد الثامن ، اغسطس ،2019، ص67-84 .

(24) باسل الحاج جاسم، صحيفة العربي الجديد، فبراير27--2018

عرض مُوجز لدراسة بعنوان: "تركيا وإعادة الارتباط بأوراسيا: المصالح الاقتصادية والأمنية الخارجية"، والصادرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في أبريل 2016.

المصدر:

Unal cevikoz, Turkey in a Reconnecting Eurasia: Foreign Economic and Security Interests, (Washington: Center for Strategic and International Studies, April 2016).

(25) احمد داود اوغلو ، العمق الاستراتيجي ، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية ،ترجمةمحمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط3 ،2014، ص491-528 .

- محمد الأمين مقراوي الوغليسي، الصعود التركي في آسيا الوسطى الواقع ولآمال، موقع مجلة البيان، على الرابط التالي: http://www.albayan.co.uk/mobile/article2.aspx?id=5507

(26) جعفر حسن ، منظمة شنغهاي للتعاون وصراع القوى الكبرى في آسيا الوسطى، 18 مارس 2008 .

(27) راشد عليموف ، دور منظمة شنغهاي للتعاون في مجابهة تهديدات السلم والامن، (منشور على الانترنيت)

(28) عبد الحق دحمان ،التحالف الشرقي المقبل ، منظمة شنغهاي ، مجلة سياسات عربية ، العدد12،يناير 2015 ، ص92-103 .

- محمد حسين كاظم ،منظمة شنغهاي للتعاون - دراسة في اطار القانون الدولي ، مجلةالعلوم القانونية ، مجلد 30 ع1 ، 2015.

(29) صلاح الصيفي ،التغلغل الاقتصادي لاسرائيل في منطقة اسيا ، اغسطس ،2007، (منشور على الانترنيت) .

(30)أحمد دياب، أبعاد الصراع التركي الروسي وتداعياته، موقع مجلة السياسة الدولية، 17 يناير 2016، على الرابط التالي: http://www.siyassa.org.eg/News/7623.aspx

(310)Unal cevikoz, Turkey in a Reconnecting Eurasia: Foreign Economic and Security Interests, (Washington: Center for Strategic and International Studies, April 2016).

(31) هوان تريفينو ،القوقاز واسيا الوسطى ، حان الوقت للتحرك الحاسم ،1نوفمبر ، 2017 (منشور على الانترنيت)

(32) هشام منور ،تمدد النفوذ الاسرائيلي في اسيا الوسطى ، اذربيجان نموذجا 24 سبتمبر ،2009 .

(33) ريتشارد فايتز تقييماً للبيئة الأمنية في آسيا الوسطى ويقترح أساليب لتعزيز جهود انخراط حلف الناتو ومساهماته على الصعيد الإقليمي- المصدر عن النيت الأهرام 20 ديسمبر 2001. اعداد: هويدا سعيد- المصدر عن المصالح الاسرائيلية

مصادر الفصل السادس

(1) محمد القضاة، القواعد العسكرية في اسيا الوسطى، الجزيرة نت .

(2) سامي السلامي، هل ستتحول جمهوريات اسيا الوسطى الى قرم جديدة، ارم نيوز، موقع على الانترنيت .

(3) حسام سويلم، القواعد العسكرية في آسيا الوسطى، السياسة الدولية ، إبريل 2006 .

(4) مدحت أيوب ، بؤر التوتر الإقليمي في آسيا الأسباب والحلول، السياسة الدولية، عدد 167 ، يناير 2007 ، ص 131 .

(5) احمد علو ، دول اسيا الوسطى مجلة الجيش ، العدد،ت1 ،2012،ص-6 إبراهيم عرفات ، آسيا الوسطى التنافس الدولي في منطقة مغلقة، السياسة الدولية، عدد 167، يناير 2007، ص 125.

(6) عبد القادر رزيق المخادمي، القواعد العسكرية الأمريكية الروسية و مخاطرها على الأمن الدولي، ط.1،(مصر: دار الفجر للنشر و التوزيع،2013)،ص 116.

(7) عبد الله صالح، القواعد الأمريكية وصراع المصالح في آسيا الوسطى،28 يوليو 2005

(8) موسى مهدي، بعد الانسحاب من أفغانستان... أميركا تعد استراتيجية لدخول آسيا الوسطى من بوابة المال ،العربي الجديد ،-31 أغسطس - 2021

(9) استراتيجية الولايات المتحدة تجاه منطقة اسيا الوسطى، بحث على الانترنيت، 15 فبراير 2018 .

(10) رائد جبر، خطوات لتعزيز النفوذ الامريكي في اسيا الاوسطى مع اقتراب الانسحاب من افغانستان، موسكو، 4 يوليو 2014 .

(11) سامي السلامي، اي مستقبل للدور الامريكي في اسيا الوسطى ؟ منشورعلى الانترنيت في 15 نوفمبر 2015 .

(12) محمود السيد، دول آسيا الوسطى و الأطماع الغربية، (مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2003)، ص241.

(13)- دول آسيا الوسطي: المجال الحيوي والإستراتيجي لخارطة الصراع ، 25 نوفمبر 2008، http://www.empressoffice.com/ar/index.php?news=2830

- عبدالله فلاح عودة، التنافس الدولي في آسيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة -1991 2010، عمان ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الآداب والعلوم ، 2011 ، ص 60.

نبذة عن النتاجات العلمية للمؤلف

نبذة عن النتاجات العلمية للمؤلف

أ. د صبري فارس كماش الهيتي

نشاطات علمية :

- أستاذا في جامعة بغداد (كليتي التربية والاداب) لاكثر من ثلاثة عقود منذ 1976 .
- استشاري وعضو اللجنة العليا لدراسة وتطوير المناهج في وزارة التربية للمدة من (1980 - 1997)
- رئيساً لقسم الجغرافية - كلية الآداب/ جامعة بغدا د (1982 - 1986)
- رئيساً لقسم الجغرافية - كلية الآداب/ جامعة بغدا د (1991 - 1993)
- رئيساً للجمعية الجغرافية العراقية للفترة من (1982 - 1992)
- أميناً عاماً لإتحاد الجغرافيين العرب منذ عام 1988.
- عضو اللجنة العلمية لموسوعة البحر الأحمر- يصدرها مركز بحوث ودراسات حوض البحر الأحمر - الخرطوم 2020 .
- عضو اللجنة العلمية الاستشارية لمجلة القلزم - يصدرها مركز بحوث ودراسات حوض البحر الأحمر - الخرطوم، صدر العدد الأول منها في ابريل 2020.
- -رئيس تحرير المجلة العلمية (الجغرافي العربي) لإتحاد الجغرافيين العرب منذ عام 1990 والتي صدر منها 41 عددا حتى عام2020.والتي تحمل التصنيف الدولي 6231-ISSN2522
- تم بالتعاون بين اتحاد الجغرافيين العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الاعداد لاصدار موسوعة بخمسة اجزاء تحمل عنوان- الكتاب المرجع في جغرافية وطن عربي بلا حدود - بدعم مالي من قبل ليبيا وتمت طباعته في 2005-2004 .

الكتب المنشورة :

له اربع وخمسون كتابا منشورا منها:

1. مراكز الخدمات في محافظتي بابل و أربيل - دراسة مقارنة في جغرافية المدن- بيروت - 1974 .
2. الخليج العربي/ دراسة في الجغرافية السياسية، بغداد، 1978 .
3. الخليج العربي/ دراسة في الجغرافية السياسية (فيه أربعة فصول مضافة) ط2، عمان، 1981 .
4. جغرافية الخليج العربي، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، 1981 (وهو كتاب منهجي يدرس في كليات الاداب).
5. جغرافية الإسكان (مطبعة جامعة بغداد)، 1983 .
6. الفكر الجغرافي وطرق البحث/ الموصل، 1985 .
7. جغرافية المد ن / مطبعة جامعة الموصل، 1986 .
8. جغرافية الخليج العربي / مطبعة جامعة الموصل، 1987 .
9. الجغرافية السياسية / جامعة الموصل، 1989 .
10. الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد/ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1989 .
11. الحرب الاثنوغرافية ضد العالم الإسلامي، بغداد، 1997 .
12. الجغرافية السياسية للوطن العربي (ضمن الكتاب المرجع للوطن العربي) المنظمة العربية للتنمية والثقافة والعلوم، تونس، 1994 . (خمسة أجزاء وهو عمل مشترك).
13. العداء الغربي للعالم الإسلامي/ بغداد، 1998 .
14. حضارة العراق (موسوعة)/ بغداد، 1987 (كتابة فصل في الجزء الثامن)
15. جغرافية الوطن العربي/ عمان، الأردن، 1999 .
16. السياسية مع تطبيقات جيوبولتيكية/ عمان، الأردن، 1999 .
17. جغرافية العراق/ طلبة كلية بغداد النموذجية، بغداد، 1982 .
18. الجغرافية العامة لمعاهد المعلمين/ بغداد، 1988 .

19. جغرافية الاستيطان الريفي/ الموصل، 1988 .

20. الجغرافية السياسية مع دراسة إستشرافية عن الوطـن العربي/ بيروت، 1999 .

21. جغرافية المدن، دار الصفاء للنشر، عمان، 2002 .

22. الريفية و الاستيطان الريفي، عمان، 2002 .

23. العالم الإسلامي وحاضره، بغداد، 2000 .

24. الجغرافي نشأته و مناهجه/ دار الصفاء - عمان، الأردن، 2005 .

25. الخليج العربي، أرضاً و سكاناً واقتصاداً وجيـوبولتيكية، عمـان، الأردن، 2003.

26. التراث الجغرافي العربي الإسلامي، عمان، 2004 .

27. العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية من وجـهة نظــر جيوبولتيكية، عمان، الأردن، 2004 .

28. التنمية البشرية والاقتصادية في الوطن العربي، دار المناهج للنشر

29. عمان، الأردن، 2007 .

30. التخطيط الحضري، دار اليازوري، عمان، 2010 .

31. التصحر، مفهومه واسبابه وطرق معالجته، دار اليازوري، 2011.

32. دراسات في الجغرافية السياسية والجيوبولتيكس، الوراق، عمان، 2012 .

33. الفوضى الخلاقة والحرب الاستباقية، دار امجد، عمان، 2016 .

34. التوازن الاستراتيجي الاقليمي في منطقة االخليج العربي ودور ايران (ولاية الفقيه) دار امجد، عمان، 2016

35. جغرافية المدن، جامعة عمر المختار، البيضا، 2014 .

36. تخطيط المدن، جامعة عمر المختار، البيضا، 2014 .

37. تخطيط المدن والقرى، دار الوراق، عمان، 2015 .

38. نحو تنمية مستدامة للموارد الطبيعية لتحقيق امن غذائي، مؤسسة زايد الدولية للبيئة، دبي، 2016 .

39. المشاريع العدائية لتفتيت الوطن العربي- دراسة جيوبولتيكية، دار امجد، عمان، 2017 .

40. الجغرافية الحضرية، دار الوراق للنشر، عمان، 2017 .

41. التنمية المستدامة للصحارى العربية- قوة اقتصادية وحماية بيئية ، مؤسسة زايد الدولية للبيئة، دبي، 2019 .

42. الاحتلال الأمريكي- البريطاني للعراق عام 2003 .مبررات واهية ونتائج كارثية، دار امجد للنشر، عمان 2020 .

43. المستقبل الجيوبولتيكي للوطن العربي، دراسة استشرافية ، دار امجد للنشر ، عمان، 2020.

44. البحر الأحمر، رؤى ستراتيجية، دار ارثيريا للنشر، الخرطوم، 2021، سلسلة دراسات دول حوض البحر الأحمر في الخرطوم .

45. مسيرة عالم بروفسور صبري فارس الهيتي ، نصف قرن من العطاء والتميز ، سلسلة الدراسات الوثائقية 13- ، دار ارثيريا للنشر والتوزيع ،الخرطوم ،2022 .

46. الأهمية الجيوبوليتيكية لدول الخليج العربي، دار امجدللنشر والتوزيع، عمان/ 2023 .

47.

ثانياً : البحوث المنشورة:

يتجاوز عددها المائة وعشرة بحوث منشورة في مجلات علمية محكمة في العراق وعدد من الدول العربية، منها :

1. تخطيط مدينة بغداد عبر العصور التاريخية، دراسة في التخطيط الحضري، مجلة المورد، العدد - 4 ، المجلد (8)، 1979 . .

2. خصائص المدينة العربية - الإسلامية وتخطيطها، مجلة التربية والعلم ، كلية التربية ، جامعة الموصل العدد (2) 1980 .

3. الضواحي الحضرية مع تطبيقات على بعض المدن في الوطن العربي ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (11) ، 1980 .

4. أثر العرب في تخطيط المدن ، مجلة دراسات الأجيال ، العدد (3) ، 1984 .

5. الموارد المائية وعلاقتها بالوزن الدولي لأقطار الخليج العربي ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (10) ، 1978 .
6. القوى العاملة في منطقة الخليج العربي وعمان ، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة ، مجلد (11) ، العدد (2) ، 1979 .
7. مستقبل مشكلة الغذاء في منطقة الخليج العربي ، ندوة مركز دراسات الخليج العربي الرابعة ، الكويت ، 1981 .
8. أفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الثمانينات في الخليج العربي ، بحوث المؤتمر الثاني للاجتماعيين العرب ، 1981 .
9. الأبعاد السياسية للحرب بين العراق وإيران في منطقة الخليج العربي ، ندوة المركز القومي للبحوث الاجتماعية ، حزيران ، 1981 .
10. استخدامات الأرض للوظيفة الترفيهية في مدينة بغداد ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (13) ، 1982 .
11. أمن المحيط الهندي وعلاقته بالخليج العربي ، مجلة التوثيق الإعلامي ، العدد (2) ، 1983 .
12. الأهمية الجغرافية لمضيق باب المندب في الملاحة البحرية العربية ، ندوة المواصلات في الوطن العربي ، بيروت ، 1982 .(منشور في كتاب ، مركز دراسات الوحدة العربية)
13. مضيق هرمز والحرب العراقية ، الإيرانية ، مجلة التوثيق الإعلامي ، المجلد الثالث ، 1984 .
14. أثر العوامل الجغرافية على الشخصية العراقية ، جامعة بغداد ، 1984 .
15. المؤهلات الجيوبوليتيكية للعراق في المحافظة على أمن الخليج العربي، المؤتمر العلمي الأول ، المجلس الأعلى للجمعيات العلمية ، 1984 .
16. (دراسات في علم الجيوبوليتيكس والجغرافية السياسية، 1985 .
17. الأمن القومي العربي والحرب العراقية الإيرانية ، مجلة آفاق عربية ، العدد (3) 1985
18. المدارس العربية الإسلامية في رسم الخرائط ، مناهجها ، أسلوبها وأصالتها ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (18) 1986 .

19. الدروس الجغرافيـــة من الحرب العراقية ، الإيرانية ، آفاق عربية ، العـدد (3)، 1987 .

20. أثر العوامل الطبيعية في تحقيق الأمن الغذائي في العراق خلال فترة الحرب، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، 1988 .

21. الاستيطان الريفي في الانبار بين جنة عدن والوقت الحاضر ، نيسان ، 1992 .

22. المعايير التخطيطية والسوقية لنشأة مدينة الكوفة ، مؤتمر جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، كانون الأول 1992 .

23. الإنسان العربي بين التكوين التراثي والعلمي التقني ، شباط 1992 ، عدن ، اليمن.

24. خصائص وأنماط الإسكان في العراق ، ملتقى الجغرافيين العرب ، قسنطينة ، تشرين الأول ، 1992 .

25. البحر الأحمر والأمن القومي العربي ، الخرطوم ، 1992 .

26. الأمن العربي والترتيبات الدولية الجديدة، افاق عربية، العدد (3) نيسان، 1993.

27. نحو رؤية عربية لتدريس الجغرافية السياسية في الجامعات العربية ، المؤتمر الجغرافي العربي الثاني ، 1993 .

28. الصحراء بين الأثر المعنوي والواقع التنموي ، المؤتمر الأول ، كلية التربية ، جامعة الانبار ، 1993 .

29. استعمالات الأرض للوظيفة الترفيهية في الرمادي، جامعة الانبار 1994 .

30. المحافظة على النظام والتوازن البيئي في المناطق الجافة في العراق ، جامعة مؤتة، الأردن ، آذار 1994 .

31. واقع الأمة العربية وتحديات المستقبل، ندوة الوطن العربي وآفاق المستقبل، جامعة الفاتح ، طرابلس ، ليبيا ، نيسان 1994 .

32. التحديات الدولية المعاصرة للأمن العربي، مركز التخطيط الحضري، بغداد، نيسان ، 1995 .

33. الزيادة السكانية الريفية وانعكاساتها على الواقع التربوي العربي، دمشق و 1995 .

34. العرب والاصطرلاب من خلال المخطوطات ، إتحاد مجالس البحث العلمي العربي، بغداد، حزيران 1995 .

35. الحرب الديموغرافية ضد العالم الإسلامي ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، بغداد، آذار 1995 .

36. المشروع الشرق أوسطي والأمن العربي ، المائدة المستديرة ، طرابلس ، ليبيا، 1995 .

37. تلوث المياه العربية ومخاطرها المستقبلية في المؤتمر العلمي لكلية المأمون، بغداد، تشرين الثاني 1996 .

38. الأمة العربية في مواجهة الغزو الثقافي العربي، الندوة التربوية، طرابلس، ليبيا، 1996

39. الأهمية الجيوستراتيجبة لجزيرة سوقطري، الندوة الدولية العلمية الأولى، جامعة عدن، اليمن، مارس 1996. (نشر ضمن وقائع الندوة)

40. البحث العلمي في الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين، مؤتمر إتحاد المعلمين العرب ، الخرطوم ، السودان ، آب 1996 .

41. المستقبل الجيوبوليتيكي للوطن العربي في ضوء المتغيرات الدولية ، مجلة دراسات الشرق الأوسط ، العدد الأول ، 1997 .

42. مشكلة الموارد المائية والأمن العربي ، مجلة المعارف ، كلية المعارف ، الانبار، العدد الأول، 1997 .

43. التكامل الاقتصادي العربي للرد على أكذوبة النظام الدولي الجديد، المائدة المستديرة السادسة، جامعة ناصر، ليبيا، 1997 .

44. إبداعات العرب في علم الفلك ، الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم ، 1998 .

45. الأهمية الجيوبوليتيكية للنفط العربي وسياسات دول الشمال المضادة ، آفاق عربية ، العدد (13) ، مايس 1998 .

46. حرب الخليج الثانية والأهداف المستقبلية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين، مجلة كلية الآداب ، العدد 46 ، نيسان 1999 .

47. المياه العربية بين الضغوط الجيوستراتيجية ومخاطر التبعية ، مجلة الجغرافي العربي ، بغداد ، العدد (5) 1998 .

48. النفط أحد الضواغط الستراتيجية على الأمن القومي العربي، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد ، بغداد ، العدد (45) ، 1999 .

49. مناهج الجغرافية السياسية في الجامعات العربية ومستقبل الأمة، المؤتمر الخامس لإتحاد الجغرافيين العرب، مجلة الجغرافي العربي، العدد السادس، بغداد، 1999 .

50. دراسة استقرائية لدور الصحراء وإستشرافية لمستقبلها، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، بغداد، العدد الأول، نيسان 1999 .

51. العولمة، مفهومها وتداعياتها على الوطن العربي ، المائدة المستديرة ، طرابلس، ليبيا، 1999 .

52. إبداعات العرب في علم الفلك ورسم الخرائط، المؤتمر العشرين، معهد التراث العربي، جامعة حلب، 1999. (نشر في مجلة المورد ، العدد (28) 2000)

53. الأبعاد الاجتماعية والسياسية لمشكلة المياه في الوطن العربي، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، العدد (6) 2000 .

54. ابن ماجد، الموسوعة العربية للإعلام، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كانون الثاني 2000 .

55. أفريقيا والعرب، وحدة المصير في مواجهة الهيمنة، دراسة جيوبوليتيكية، مجلة البحوث الجغرافية، جامعة الكوفة ، العدد الأول ، تشرين الثاني 2001 .

56. النموذج الأمثل لطرز البناء في المدن الصحراوية العربية ، المؤتمر السادس لإتحاد الجغرافيين العرب بالتعاون مع جامعة مؤتة ، الأردن ، 1999 .(مجلة الجغرافي العربي ، العدد (7) 2001) .

57. التصميم الأمثل لمورفولوجية المسكن الريفي ، مجلة المخطط والتنمية ، العدد (10) ، مركز التخطيط الحضري والاقليمي ، بغداد ، تشرين الثاني 2001 .

58. الدلالات الإنسانية للفضاءات في المدينة العربية الإسلامية ، مجلة الخطيب، كلية الإمام الأعظم ، بغداد ، العدد الثالث ، شباط 2002 .

59. التصحر ومستقبل التنمية الاجتماعية في الوطن العربي ، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة ، العدد (13) 2002 .

60. العرب في أساليب الري والفلاحة ، مجلة المورد ، العدد الأول ، المجلد الثلاثون، كانون الثاني 2002 .

61. توظيف صور الاستشعار عن بعد في البحوث التنموية ، مجلة المخطط والتنمية، العدد (11) 2002 .

62. أصالة أراء ابن خلدون في الجغرافية الحضرية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد (22) 2002 .

63. نظرة في العولمة وسلبياتها على الوطن العربي ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد (10) ، تشرين الأول ، 2002 .

64. التكتلات الدولية والأمن الغذائي ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد (9) ، أيلول، 2002 .

65. العولمة والأمن العربي ، مجلة دراسات اجتماعية ، بيت الحكمة ، بغداد ، العدد (17) ، 2002 .

66. الضواحي الحضرية في المدن العربية ، مجلة الجغرافي العربي ، اتحاد الجغرافيين العرب ، العدد (11) 2003.

67. العربية المشتركة والتكامل الاقتصادي العربي، مؤتمر المائدة المستديرة ، جامعة ناصر ، ليبيا ، 2004 .

68. الأهداف الجيوستراتيجية ، المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير أو الموسع، مجلة الجغرافي العربي، بغداد، العدد (14) 2004 .

69. الأساليب العلمية لتحديد المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي، مؤتمر التصحر في جامعة السلطان قابوس ، عمان ، نيسان 2005

70. الأمن الغذائي العربي ، مقوماته وأهميته ، مؤتمر قسم الجغرافية ، كلية الآداب، جامعة حلب ، أيار 2005 .

71. التنمية المستدامة في الوطن العربي ، المائدة المستديرة ، جامعة ناصر ، ليبيا، 2005 .

72. المناهج التعليمية بين التغيير والتبديل ، ندوة إتحاد المعلمين العرب ، الخرطوم السودان ، 2005 .

73. النمو السكاني والتنمية الاقتصادية مع تطبيق على الوطن العربي ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 16 ، 2005 .

74. العولمة وحوار الثقافات ، العدد الثامن عشر ، مجلة الجغرافي العربي ، 2006 .

75. الضغوط الأجنبية على المناهج التعليمية العربية ؛ مجلة الجغرافي العربي ؛ العدد 17 ؛ 2006 .

76. التنمية المستدامة في الوطن العربي (من أجل تحقيق أمن غذائي عربي) ؛ بحث ألقي في الملتقى الجغرافي العربي ؛ الرباط ؛ 2006 .

77. الموارد المائية في منطقة الجبل الأخضر واستثمارها وسبل تنميتها ؛ مجلة الجغرافي العربي ؛ العدد 19 ؛ 2007 .

78. إبداعات العرب في صنع الخرائط ؛ المؤتمر الأول للجمعية التونسية للإعلام الجغرافي ؛ نوفمبر ؛ 2006 ؛ تونس .

79. الأهمية الجيوبوليتيكية للاتحاد الإفريقي ؛ المؤتمر الجغرافي الأول ، كلية الآداب / جامعة الفاتح / ليبيا ، ابريل 2008 ؛ الجغرافي العربي ؛ العدد 21 ؛ 2008

80. السياحة الصحراوية في الجماهيرية الليبية ؛ المؤتمر الدولي الأول للسياحة ؛ تونس ، جامعة منوبة ؛ أكتوبر 2008 .

81. جهود العرب الملاحية في الخليج العربي والمحيط الهندي ؛ المؤتمر الثاني لتاريخ الخليج العربي (الملاحة البحرية للخليج العربي عبر العصور) ؛ الشارقة ؛ نوفمبر؛ 2008 .

82. الموارد المائية، الإمكانات والمعوقات ؛ ندوة تهيئة المجال العربي في زمن العولمة ؛ كلية الآداب ، منوبة ؛ تونس ؛ 2009 .

83. المخاطر والتهديدات التي تواجه الموارد المائية العربية ؛ بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني عشر للجمعية الجغرافية الليبية ؛ طرابلس ؛ ليبيا ؛ أبريل ؛ 2010 .

84. اقتصاد السوق والقيم الأخلاقية في ظل المتغيرات الدولية ، دراسة جيوبوليتيكية؛ مجلة الجغرافي العربي ؛ العدد 24 ؛ 2010 .

85. الأدلة التاريخية والعلمية لتسمية الخليج العربي ؛ مجلة الجغرافي العربي ؛ العدد 25 ؛ 2010 .

86. الوظيفتان الترفيهية والسياحية في المدن العربية وضرورة الاهتمام بها ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد، 30 ، 2014

87. الاطماع الدولية في نهر النيل والامن المائي المصري ، دراسة جيوبوليتيكية ، القي في المؤتمر السابع للمنظمة الاورو عربية وتم نشره في العدد 31 من مجلة الجغرافي العربي ، 2014 .

88. مشكلة السكن العشوائي في المدن العربية، القي في المؤتمر الدولي في جامعة العربي بن مهيدي في الجزائر ، 2014 ، نشر في مجلة الجغرافي العربي ، العدد، 31 ، 2015 .

89. مسؤولية الحكومات العربية عن حماية المياه الخاصة بالاستعمال البشري ،مجلة الجغرافي العربي ، العدد، 33 ، 2016 .

90. التلوث البيئي للمياه العذبة في الدول العربية والتنمية المستدامة مجلة الجغرافي العربي، العدد، 34، 2016.

91. مشاريع تقسيم الوطن العربي جغرافيا وديموغرافيا، مجلة حضارة، العدد ،18، ،2016، تصدر عن مركز الامة للدراسات والتطوير .

92. التنمية المستدامة للموارد الطبيعية العربية من اجل تحقيق امن غذائي ، مجلة الجغرافي العربي ، العدد 36 ، 2017 .

93. اثر المياه الصالحة للاستعمال البشري على التنمية في الوطن العربي (الجزائر والسودان والعراق) نموذجا ،مجلة الجغرافي العربي ، يصدرها اتحاد الجغرافيين العرب ، العدد 37-2018 .

94. الوزن الجيبولتيكي للوطن العربي بين وفرة المعادن الاستراتيجية وضعف تنميتها، مجلة الجغرافي العربي ، يصدرها اتحاد الجغرافيين العرب ،العدد 38-2019 .

95. الاهمية الجيوستراتيجية للموقع الجغرافي لدول اسيا الوسطى والقوقاز، والتنافس الدولي حولها ، مجلة الجغرافي العربي ، يصدرها اتحاد الجغرافيين العرب ،العدد 40-2019 .

96. غزو العراق 2003عام، اسباب كاذبة ونتائج كارثية ،بحث قدم في المؤتمر الثاني عشر للجمعية التاريخية والاقتصادية التونسية ، المانستير ، نوفمبر ،2019 . نشر في العدد41 لمجلة الجغرافي العربي .

97. الاهمية الجيوستراتيجية للبحر الاحمر وتاثيره على الامن القومي العربي ،المؤتمر الاول بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر، الخرطوم ،2020 .

98. الاهمية الجيوستراتيجية للبحر الاحمر وعلاقتها بطريق الحرير الجديد ، مجلة القلزم للعلوم البيئية والجغرافية ، مركز دراسات حوض البحر الاحمر ، العدد الاول، اكتوبر 2020 .

الإشراف على الدراسات العليا :

1. إشراف على أكثر من 40 أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير .


APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution



أ.د صبري فارس الهيتي

- أستاذا في جامعة بغداد (كليتي التربية والاداب) لأكثر من ثلاثة عقود منذ 1976 .
- استشاري وعضو اللجنة العليا لدراسة وتطوير المناهج في وزارة التربية للمدة من (1980 – 1997)
- رئيساً لقسم الجغرافية – كلية الآداب/ جامعة بغداد (1982 – 1986)
- رئيساً لقسم الجغرافية – كلية الآداب/ جامعة بغداد (1991 – 1993)
- رئيساً للجمعية الجغرافية العراقية للفترة من (1982 – 1992)
- أميناً عاماً لإتحاد الجغرافيين العرب منذ عام 1988.
- عضو اللجنة العلمية لموسوعة البحر الأحمر- يصدرها مركز بحوث ودراسات حوض البحر الأحمر- الخرطوم 2020 .
- عضو اللجنة العلمية الاستشارية لمجلة القلزم – يصدرها مركز بحوث ودراسات حوض البحر الأحمر – الخرطوم، صدر العدد الأول منها في ابريل 2020.
- رئيس تحرير المجلة العلمية (الجغرافي العربي) لإتحاد الجغرافيين العرب منذ عام 1990 والتي صدر منها 41 عددا حتى عام2020 .والتي تحمل التصنيف الدولي ISSN2522–6231
- تم بالتعاون بين اتحاد الجغرافيين العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الإعداد لاصدار موسوعة بخمسة أجزاء تحمل عنوان «الكتاب المرجع في جغرافية وطن عربي بلا حدود» بدعم مالي من قبل ليبيا وتمت طباعته في 2004–2005.
- يوجد داخل الكتاب نبذة عن النتاجات العلمية للمؤلف.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation